

العنوان:	آراء الإمام ابن حزم في فقه الأسرة : دراسة فقهية مقارنة
المؤلف الرئيسي:	أحمد، ابتسام ابراهيم
مؤلفين آخرين:	ميرغني، فتحية حسن(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2012
موقع:	أم درمان
الصفحات:	1 - 408
رقم MD:	560966
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة دكتوراه
الجامعة:	جامعة أم درمان الاسلامية
الكلية:	كلية الشريعة والقانون
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	الفقه الاسلامي، الفقه المقارن، فقه الاسرة، ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، 456 هـ.
رابط:	<a href="http://search.mandumah.com/Record/560966">http://search.mandumah.com/Record/560966</a>

للاستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب أسلوب الاستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

أحمد، ابتسام ابراهيم، و ميرغني، فتحية حسن. (2012). آراء الإمام ابن حزم في فقه الأسرة: دراسة فقهية مقارنة (رسالة دكتوراه غير منشورة). جامعة أم درمان الاسلامية، أم درمان. مسترجع من  
<http://search.mandumah.com/Record/560966>

إسلوب MLA

أحمد، ابتسام ابراهيم، و فتحية حسن ميرغني. "آراء الإمام ابن حزم في فقه الأسرة: دراسة فقهية مقارنة" رسالة دكتوراه. جامعة أم درمان الاسلامية، أم درمان، 2012. مسترجع من  
<http://search.mandumah.com/Record/560966>

## المبحث الأول: نشأة المذهب الظاهري والتعريف بالإمام ابن حزم

### المطلب الأول: نشأة المذهب الظاهري:

المذهب الظاهري: هو المذهب الذي يؤخذ فيه بظواهر الكتاب والسنة ويعرض فيه عن التأويل والقياس، وهذا هو سبب تسميتهم بالظاهرية، وأبرز أعلام المذهب الظاهري هما: (أبو سليمان داود بن علي الظاهري<sup>١</sup>، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، نسب هذا المذهب إلى أبي سليمان داود بن علي بن خلف وهو أول من قال: بالاعتماد على ظواهر النصوص من الكتاب والسنة دون تأويل أو بحث أو تعليل ونفى القياس في الأحكام، وعندما اضطر إلي استخدامه سماه الدليل واتخذ قوله تعالى: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ<sup>٢</sup>}، ولم يأخذ كذلك بالاستحسان، ويرى أن كل شرط أو عقد لم يثبت بنص أو إجماع يكون غير صحيح مستدلاً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم (مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ أَسْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَلَيْسَ لَهُ وَإِنْ أَسْتَرَطَ مِائَةً<sup>٣</sup>). وقد كان داود حافظاً من حفاظ الحديث فقيهاً مجتهداً صاحب مذهب مستقل بعد أن كان شافعيًا. وقد نقل عنه أنه قال: بأن القرآن محدث وكان يخفي هذا الاعتقاد حتى يأخذ العلم من الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، فلما علم الإمام منعه من

---

<sup>١</sup> أبو سُلَيْمَانَ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ خَلْفِ الْأَصْبَهَانِيِّ، وُلِدَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَمِائَتَيْنِ، وَمَاتَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ. سير أعلام النبلاء/شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي/بإشراف شعيب الأرنؤوط/مؤسسة الرسالة/١٤١٠هـ-١٩٩٠م (٩٥/٢٥).

<sup>٢</sup> سورة النساء الآية ٥٩.

<sup>٣</sup> الجامع الصحيح المختصر/ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي/دار ابن كثير/اليمامة - بيروت/٣/١٤٠٧هـ-١٩٨٧م/تحقيق: د. مصطفى ديب البغا (٥٨) كتاب الشروط /١٧ باب المكاتب وما لا يحل من الشروط التي تخالف كتاب الله/ح ٢٥٨٤ (٢/٩٨١).

<sup>٤</sup> الحافظ الحجة أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي، شيخ الإسلام وسيد المسلمين في عصره، ولد سنة أربع وستين ومائة. تذكرة الحفاظ/ محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله ط٤/ دار إحياء التراث العربي/بيروت (٢/٤٣١).

الدخول إليه، ممن أخذ عنه وسار على مذهبه ابنه محمد<sup>١</sup> وكان فاضلاً أديباً أحد الظرفاء ، صنّف كثيراً من الكتب<sup>٢</sup>).

(ومما أخذ على داؤد أنه منع التقليد، وأجاز لكل فاهم للعربية أن يتكلم في الدين بظاهر الكتاب والسنة وهذا يؤدي إلى التجرؤ على الفقه ممن لا يحسن الفقه وأخذ الأحكام مباشرة من الكتاب والسنة والتعلق بظواهر الألفاظ من غير تأمل وتفكير. من أجل هذا اشتدت حملة العلماء على مذهب الظاهرية في حياة داؤد وبعد وفاته، فلم يعتد كثيرون بخلافه وقالوا أنه غير مناف للإجماع فإن أجمع العلماء على رأي فيه خلاف لداؤد وأتباعه فلا ينافي ذلك وجود الإجماع عند هؤلاء، ومهما يكن من أمر فإن المذهب الظاهري كانت له حياة في الشرق في القرنين الثالث والرابع.

ثم انتقل إلى الغرب إذ ظهر فكر قوي، أخذ ابن حزم المذهب الظاهري من مشارق الأرض إلى مغاربها، ففي القرن الثالث الهجري سافرت طائفة كبيرة من علماء قرطبة المبرزين إلى بلاد الشرق ينهلون من علمها، ويردون موارده العذبة فيها، ومنهم من التقى بالإمام أحمد رحمه الله ومعاصريه كداؤد بن خلف وغيره، ومن هؤلاء الثلاثة وإن لم يكونوا ظاهريين في أقوالهم فقد كانت آرائهم تتحو نحو الفكر الظاهر وهم :

---

١ محمد بن داؤد بن علي بن خلف الظاهري، أبو بكر: أديب، مناظر شاعر، أصله من اصبهان، ولد وعاش ببغداد. الأعلام/ قاموس تراجم لأشهر الرجال من العرب والمستعربين والمستشرقين/ تأليف خير الدين الزركلي/ دار العلم للملايين/ ١٩٨٠ (٢ / ١٢٠).

٢ المدخل لدراسة الفقه الإسلامي/ د. محمد يوسف موسى/ ط دار الفكر العربي/ القاهرة/ ١٩٨٠م/ وتاريخ التشريع الإسلامي للشيخ محمد الخضري/ ط٧/ المكتبة التجارية الكبرى/ بمصر ١٩٦٠م/ ص ٢٦٧.

بقي بن مخلد<sup>١</sup>، ابن وضاح<sup>٢</sup>، قاسم بن أصبغ<sup>٣</sup>، هؤلاء الرجال الثلاثة وقرنائهم وتلاميذهم مهدوا لوجود المذهب الظاهري بالأندلس بنشرهم الفقه المقارن ورحلاتهم إلى الشرق، ونقل أخباره وأخبار علمائه ومذاهبه.

ثم ظهر بعد ذلك علماء يعلنون اختيارهم للمناهج الظاهري وعلى رأسهم القاضي منذر بن سعيد البلوطي<sup>٤</sup>، ومسعود بن سليمان بن مفلت بن الخيار<sup>٥</sup>).

ثم تسلم ابن حزم المذهب الظاهري في الأندلس فوقف لنصرته ونشره وتأييده.

### المطلب الثاني: إسم الإمام ابن حزم وميلاده وكنيته:

(هو العلامة: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان ابن سفيان بن يزيد بن حرب الفارسي الأصل، ثم الأندلسي القرطبي اليزيدي مولى الأمير يزيد بن حرب الأموي، وأول من دخل الأندلس من أسرة ابن حزم جده) (خلف ابن معدان) فقد جاء إليها في جيش الفتح مع موسى بن نصير سنة ٩٣ هجرية<sup>٦</sup>)، (وعُرف ابن حزم

---

١ هو بقي بن مخلد بن يزيد أبو عبد الرحمن، الأندلسي، القرطبي، حافظ مفسر محقق، من أهل الأندلس، له كتاب (تفسير) وكتاب في الحديث، كان إماماً مجتهداً انتشرت كتبه وتداولها القراء والدارسون في أيام حياته، (٢٠١ - ٢٧٦ هـ = ٨١٧ - ٨٨٩ م). الأعلام (٦٠ / ٢).

٢ ابن وضاح عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن وضاح من رجال الدولة الأموية بالأندلس، استقل بالحكم في مدينة لورنقة، تعرف بقرطبة (٣٢٢ هـ = ... - ٩٣٣ م). الأعلام (٣١٣ / ٣).

٣ قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف الببائي القرطبي محدث الأندلس، سكن قرطبة ومات بها، وكان جده من موالي بني أمية، له مسند مالك، (٢٤٧ - ٣٤٠ هـ = ٨٦٢ - ٩٥١ م). الأعلام (١٧ / ٥).

٤ منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن النفزي القرطبي، قاضي قضاة الأندلس في عصره، كان فقيهاً خطيباً، وشاعراً، (٢٧٣ - ٣٥٥ = ٨٨٦ - ٩٦٦). الأعلام (٢٩٤ / ٧).

٥ مسعود بن سليمان بن مفلت بن الخيار، فقيه عالم زاهد، يميل إلى الاختيار والقول بالظاهر، ذكره أبو محمد علي بن أحمد، وكان أحد شيوخه. جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس / للحميدي أبي عبد الله محمد بن أبي نهر فتوح الأزدي ت ٤٨٨ هـ / الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ (١٢٥ / ٢).

٦ تاريخ الفقه الاسلامي / ص ٣٢٢، أنظر ابن حزم حياته وعصره آراؤه وفقهه / الإمام محمد بن محمد أبو زهرة / دار الفكر العربي / ص ٢٦٢ - ٢٦٣.

٧ سير أعلام النبلاء (١٨٤ / ١٨). أنظر البداية والنهاية / أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي / المتوفى سنة ٧٧٤ هـ / ط ٢ /

١٤١١ هـ / ١٩٩١ م / مكتبة المعارف / بيروت (٩١ / ١٢).

بأبي محمد كنية له وقد اشتهر بها، ودلالة هذه الكنية معروفة ومشتهرة<sup>١</sup> وظاهرة في كل كتبه، وفي ما كُتب عنه ذلك أنك لا تتظر في كتابه المحلى إلا وتجد لفظ (وقال أبو محمد)، (وأصل آبائه من قرية منت ليشم<sup>٢</sup> من إقليم الزاوية من عمل أونبة<sup>٣</sup> من كورة ليلة من غرب الأندلس، وسكن هو وآباؤه قرطبة ونالوا فيها جاهاً عريضاً، وكان أبو عمرو أحمد بن سعيد بن حزم أحد العلماء من وزراء المنصور محمد بن أبي عامر ووزراء ابن المظفر بعده والمديرين لدولتيهما، أما تاريخ مولده فقد جاء نقلاً عن تلميذ ابن حزم صاعد<sup>٤</sup> ما يلي: وكتب إلي بخط يده: إنه ولد بعد صلاة الصبح من آخر يوم في شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة<sup>٥</sup>)، (وأورد آخرون أن مولد ابن حزم لم يكن في سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة وإنما كان في سنة أربع وثمانين وثلاثمائة<sup>٦</sup>) .

---

١ يكنى أبا محمد في: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان/ للياضي عبد الله بن أسعد (٢٧٩/٣)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب/ عبد الحى بن أحمد بن العماد الحنبلي/ ت/ ١٠٨٩ هـ/ تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا/ بيروت/ دار الكتب العلمية/ ١٤١٩-١٩٩٨ م (٣/ ٢٩٩) .

٢ وهي قرية ابن حزم. أبجد العلوم الموشى المرقوم في بيان أحوال العلوم/ صديق بن حسن القنوجي/ تحقيق: عبد الجبار زكار/ دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٩٧٨ (٣/ ١٤٧) .

٣ من مدن جبل العيون بالأندلس. صفة جزيرة الأندلس/ الحميري أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم/ نشره أ. لافي بروفنسال (١/ ١٣) .

٤ مضافة إلى عمل أونبة. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب/ أحمد بن محمد المقرئ التلمساني/ دار الكتاب العربي/ بيروت (١/ ١٦٨) .

٥ أبي القاسم صاعد بن أحمد الجياني الأندلسي: ولد بالمريّة عام ٤٢٩ هـ ولقد التقى ابن حزم أيام كان بها وأصبح أحد تلاميذه إلا أنه لم يتبع المذهب الظاهري، وهو الذي نقل عن ابن حزم تعيين مولده، وقد تولى القضاء بطليطلة ومات بها سنة ٦٢٣ هـ. بقية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تأليف الضبي أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة/ المتوفى سنة ٥٩٩ هـ/ دار الكتاب العربي ١٩٦٧ م/ ص ٣١١ .

٦ معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب/ تأليف ياقوت الحموي الرومي/ تحقيق الدكتور إحسان عباس/ دار الغرب الإسلامي/ ط ١/ ١٩٩٣ م/ بيروت - لبنان (٢/ ٢٨) .

٧ البداية والنهاية (١٢/ ٩١ - ٩٢) .

والخلاف في بيان تاريخ الميلاد إنما يظهر به التاريخ الصحيح من مطالعة ما جاء في معجم الأدباء، أنه توفي وكان عمره اثنتين وسبعين سنة (إلا شهرًا<sup>١</sup>)، فإن كان عمره كذلك، فذلك لا يتوافق مع أن ميلاده كان سنة ثلاثة وثمانين وثلاثمائة، حيث أن وفاته ثبتت أنها كانت سنة (٤٥٦هـ)، وذلك يوافق أنه ولد سنة أربعة وثمانين وثلاثمائة.

ويلاحظ أن ابن حزم في ما كتبه إلى صاعد قد عين وقت ولادته بالسنة والشهر واليوم وجزء اليوم الذي ولد فيه، وهذا التعيين يستشف منه عناية أسرته بضبط تاريخ ميلاد مواليدها، وإلا لما عنى ابن حزم بتوثيق مولده . قضى ابن حزم أيام حياته الأولى في قرطبة، ولما كان عام (٤٠٤هـ) غادر ابن حزم قرطبة التي كانت قد مزقتها الحروب الأهلية، والتي خرب فيها البربر قصر أسرته البديع ، واختار (المرية)<sup>٢</sup> لإقامته، وعاش هناك في هدوء حتى خُلع علي بن حمود<sup>٣</sup> بالاتفاق مع خيران<sup>٤</sup> صاحب المرية، والأمير سليمان الأموي<sup>٥</sup> في المحرم (٤٠٧هـ). ولما كان خيران يظن أن ابن حزم يتآمر لصالح الأمويين، سجنه وصديقه أحمد بن إسحاق بضعة أشهر ثم نفاهما، ذهب الصديقان (إلى حصن القصر)، فتلقاهما صاحبه بالترحاب، ولما علما بأنه قد نودي

---

١ معجم الأدباء (٢٨ / ٢) .

٢ من أقاليم الأندلس وهي مدينة كبيرة وفيها مرفأ ومرسى للسفن. معجم البلدان/الياقوت/تحقيق على محمد البجاوي/ط١/دار أحياء الكتب العربية- القاهرة/١٣٥٤هـ - ١٩٧٣م (١١٩/٥).

٣ هو علي بن حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبد الله بن عمر بن إدريس تولى سنة ٤٠٧هـ، وتسمى بالخلافة، وتلقب بالناصر، قتله صقالبة له في الحمام عام ٤٠٨هـ. راجع جذوة المقتبس/ص ١٩.

٤ هو خيران العامري ذكر ابن حزم أن بعض الواشين نقل إلى خيران أن ابن حزم يتآمر عليه، راجع طوق الحمامة على الألفه والآلاف/أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم/ت ٤٥٦هـ/حققه أ.حسن كامل الصيرفي/مطبعة الإستقامة/ص ١١٨.

٥ هو سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر تولى الخلافة عام ٣٩٩هـ، ودخل قرطبة عام ٤٠٠هـ، وتلقب (بالظافر) (بالمستعين) حكم سبع سنوات، قتل على يد علي بن حمود عام ٤٠٧هـ. جذوة المقتبس (١٩/١) .

بعبد الرحمن الرابع<sup>١</sup> (المرتضى) خليفة في مدينة بلنسية<sup>٢</sup>، تركا مضيفهما بعد أشهر قلائل وذهبا إلى هذه المدينة بطريق البحر وهناك لقي ابن حزم أصدقاء آخرين، واشترك ابن حزم في حرب غرناطة<sup>٣</sup> مع جيش المرتضى وكان وزيراً له، فأسره العدو، لكنه أطلق سراحه بعد مدة. ورجع إلى قرطبة في (٤٠٩ هـ)، بعد أن غاب عنها ست سنوات إبان حكم الخليفة القاسم بن حمود<sup>٤</sup> (٥).

### المطلب الثالث: شيوخه وتلاميذه:

#### أولاً: شيوخه:

ورد في كتاب المحلي في أكثر من موضع، ذكر ابن حزم لطائفة من شيوخه الذين تلقى عنهم العلم، من علوم الحديث والفقه، والأدب بيد أن هؤلاء الشيوخ ليس جلهم معروف، أو ترجم له، ولو لم يصرح به ابن حزم نفسه لما عرفوا، والبعض ترجم له، (تعلم ابن حزم القرآن في بيته وحفظه على يد نساء منزله، ولم يكتف والده بذلك حيث دفع به لتعلم علم الحديث بعد أن جعل له مربياً، ولقد روى الحديث عن الهمداني، فقد جاء في طوق الحمامة: (حدثنا الهمداني في مسجد القمري بالجانب الغربي من قرطبة سنة إحدى وأربع مائة<sup>٥</sup>)، ولقد تلقى الحديث أيضاً عن أبي بكر محمد بن اسحاق، كما تلقى الفقه في

١ هو عبد الرحمن بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر تلقب (بالمترضى) بايعه البربر زحفوا على غرناطة، ثم تخلو عنه ودسوا عليه من قتله غيلة. راجع جذوة المقتبس (٢٢/١).

٢ مدينة مشهورة بالأندلس، وهي شرقى قرطبة واهلها اميوا أهل الأندلس ويسمون عرب الأندلس، وبينها وبين البحر فرسخ، معجم البلدان (١/ ٤٩٠).

٣ يقال غرناطة ويقال إغرناطة، وكلاهما أعجمى، وهي مدينة كورة البيرة، فبينهما فرسخان وثلاثا فرسخ. والبيرة من أعظم كور الأندلس. الإحاطة في أخبار غرناطة/ المؤلف: أبو عبد الله بن سعد بن أحمد السلماني لسان الدين ابن الخطيب/ دار الكتب العلمية- لبنان / بيروت/ ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٣ م/ ط١/ تحقيق: د. يوسف علي طويل (١ / ١٣).

٤ القاسم بن حمود بن ميمون الإدريسي والي إمرة الأندلس، أمن الناس معه، فبقي في الملك إلى سنة اثنتي وأربع مائة، وخرج عليه ابن أخيه يحيى بن حمود فهرب القاسم من غير قتال. سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٣٦).

٥ دائرة المعارف الإسلامية/ نقلها إلى اللغة العربية محمد ثابت الفندي- أحمد الشناوي- إبراهيم زكي خورشيد- عبد الحميد يونس/ ١٣٥٢ هـ- ١٩٣٣ م (١/ ١٣٦)، نقلاً عن طوق الحمامة/ ص ١٠٤ - ١١٢. ابن حزم حياته وعصره آراؤه

وفقهه/ ص ٢٣

٦ طوق الحمامة/ ص ١٤٥.

أول أمره كما قال ياقوت في معجمه عن عبدالله بن يحيى بن أحمد بن دحون، الفقيه الذي عليه مدار الفتيا في قرطبة، وتلقى الفقه والحديث أيضا على عبدالله الأزدي المعروف بابن الفرضي، واتجه إلى الفقه محدثا، ولما أراد الأخذ عن ابن دحون نبهه إلى الموطأ، وهو كتاب فقه وحديث، وعكف ابن حزم على دراسته لمدة ثلاث سنوات، ويرجع تلقي ابن حزم عن ابن دحوان شيخه ومربيه أحمد بن علي الفارسي<sup>١</sup>). وذكر الحافظ الذهبي بداية سماعه ومن أخذ عنه فقال: (وسمع في سنة أربع مائة وبعدها من طائفة منهم: يحيى بن مسعود بن وجه الجنة<sup>٢</sup>، صاحب قاسم بن أصبغ فهو أعلى شيخ عنده، ومن أبي عمر أحمد بن محمد بن الجصور<sup>٣</sup>، ويونس بن عبد الله بن مغيث القاضي، وحمام بن أحمد القاضي، ومحمد بن سعيد بن نبات، وعبد الله بن ربيع التميمي<sup>٤</sup>، وعبد الرحمن بن عبد الله بن خالد، وعبد الله بن محمد عثمان، وأبي عمر أحمد محمد الطلمنكي، وعبد الله بن يوسف بن نامي، وأحمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن أصبغ، وينزل على أن يروى عن أبي عمر بن عبد البر، وأحمد بن عمر بن أنس العذري وأجود ما عنده من الكتب سنن النسائي يحملها عن ابن ربيع وعن ابن الأحمر وأنزل ما عنده صحيح مسلم، بينه وبين خمسة

١ طوق الحمامة/ص ٧٢. ابن حزم حياته وعصره وآراؤه وفقهه/ص ٨٠-٨٢، معجم البلدان (٢٧/٢).

٢ ابن وجه الجنة الشيخ المعمر، أبوبكر، يحيى بن عبد الرحمن بن مسعود بن موسى القرطبي، ولد في سنة أربع وثلاث مائة ومات في سنة اثنتين وأربع مائة، سير أعلام النبلاء (١٧/٢٠٤)

٣ ابن الجصور الإمام المحدث الثقة الأديب، أبو عمر أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد بن الحباب، الأموي مولاهم القرطبي، ولد سنة عشرين وثلاثمائة، ومات في سنة إحدى وأربع مائة. سير أعلام النبلاء (١٧/١٤٨)

٤ روى عنه ابن حزم في المحلى أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري/المتوفى ٥٦٤هـ/دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/تحقيق احمد محمد شاكر (١١/٢٧٧) وفي الأحكام في أصول الأحكام لابن حزم/ أشرف على طبعتها الأستاذ العلامة أحمد شاكر رحمه الله الناشر زكريا على يوسف مطبعة العاصمة بالقاهرة (٨/٥٠٨) .

٥ أحمد بن عمر بن أنس العذري عن أبي الحسن علي بن محمد الطابثي الفقيه. فهرسة ابن خير الأشبيلي/ أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي/سنة الولادة ٥٠٢هـ/ سنة الوفاة ٥٧٥هـ/تحقيق محمد فؤاد منصور/دار الكتب العلمية/١٩٤١هـ/١٩٩٨م/بيروت/لبنان (١/٢١٠).

رجال، وأعلى ما رأيت له حديث بينه وبين وكيع في ثلاث أنفس<sup>(١)</sup>، (وكان أبو عمرو أحمد بن سعيد بن حزم أحد العلماء، من وزراء المنصور محمد بن أبي عامر ووزراء ابن المظفر بعده والمديرين لدولتيهما، وكان ابنه الفقيه أبو محمد وزيراً لعبد الرحمن المستظهر بالله، ابن هشام بن عبد الجبار ابن عبد الرحمن الناصر لدين الله ثم لهشام المعتد بالله بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر، ثم نبذ هذه الطريقة وأقبل على قراءة العلوم وتقييد الآثار والسنن، فعنى بعلم المنطق، وبرع فيه، ثم أعرض عنه - قلت: ما أعرض عنه حتى زرع في باطنه أموراً وانحرافاً عن السنة - قال: وأقبل على علوم الإسلام حتى نال من ذلك ما لم ينله أحد بالأندلس قبله<sup>(٢)</sup>).

والشيوخ الذين قد سلف ذكرهم ليسوا هم الشيوخ الوحيدين لابن حزم، حيث هناك شيوخاً آخرون لم يتسع المقام لذكرهم منهم من أخذ عنهم ابن حزم الأدب، والشعر، وعلم المنطق، والفلسفة.

#### ثانياً: تلاميذه:

لم يقدر الله تعالى لابن حزم أن يخلفه كثير من التلاميذ يتوارثون مذهبه، ويحملون - بعد وفاته - علمه وفكره، على الرغم من المكانة العلمية الرفيعة التي تبوأها ابن حزم. (ولاشك أن هناك بعض الأسباب التي حالت دون ذلك، وأهمها: اعتناق ابن حزم لمذهب مخالف لمذهب أهل الأندلس، حيث اعتنق في بداية مشواره العلمي المذهب الشافعي، ثم تركه، واعتنق مذهب أهل الظاهر، ولم ينته الأمر عند ذلك وإنما راح يشيع على فقهاء المالكية، مما أوجد بينه وبينهم جفوة وعداوة، فتكالبوا عليه، وضللوه، وحذروا منه العوام والسلطين وطاردوه من بلد إلى بلد، وقد روى لنا ابن حيان<sup>(٣)</sup> ذلك كله فقال (حتى استهدف (يريد ابن حزم) إلى فقهاء وقته، فتمالؤوا عليه، وأجمعوا على تضليله، وشنعوا عليه،

---

١ سير أعلام النبلاء (١٨٥/١٨).

٢ معجم الأدباء - (٢ / ٢٨)، تنكرة الحفاظ (٣/١١٤٨).

٣ هو حيان بن خلف بن حسين بن حيان الأموي مولاهم، القرطبي، الإخباري، الأديب، وهو من أقدم وأفضل مؤرخي الأندلس ولد عام ٣٧٧ هـ وتوفي عام ٤٦٩ هـ وله كتاب (المقتبس في تاريخ الأندلس). راجع دائرة المعارف الإسلامية (١٤٦/١). وفيات الأعيان (٢/٢١٨ - ٢١٩)، سير أعلام النبلاء (١٨ / ٣٧١).

وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عن الدنو منه، فطفق الملوك يقصونه عن قريبهم، ويسيرونه عن بلادهم<sup>١</sup>).

غير أن ابن حزم لم يرد على إساءة مخالفه بالحسنى، بل كال لهم الكيل كيلين، والصاع صاعين، ولذا قيل: (كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين<sup>٢</sup>)، وأكثر معايبه - زعموا - عند المنصف له، جهله بسياسة العلم<sup>٣</sup>).

لاشك أن ذلك كله لم يثمر إلا عن القليل من التلاميذ الذين أخذوا عنه الفقه والأدب واتبعوا مذهبه الظاهري: (حدث عنه ابنه أبو رافع الفضل، وأبو عبد الله الحميدي<sup>٤</sup>، وآخر من روى عنه مروياته بالإجازة أبو الحسن شريح بن محمد<sup>٥</sup>، ومن تلاميذه أبي القاسم صاعد بن أحمد الجياني الأندلسي، وابن رندقة<sup>٦</sup>)<sup>٧</sup>.

وهناك تلاميذ آخرون ذكرهم ابن حزم في المحلى لا يتسع المقام لذكرهم. وجملة القول أن تلاميذ ابن حزم أخذوا الفقه والأدب عنه وتأثروا به، ومنهم من حمل لواء الظاهرية ودافع عنها، ومنهم من لم تعرف ظاهريته مثل صاعد الجياني كما ذكر.

---

<sup>١</sup> سير أعلام النبلاء (١٨ / ٢٠٠).

<sup>٢</sup> وفيات الأعيان (٣٢٨/٣)، سير أعلام النبلاء (١٨ / ١٩٩).

<sup>٣</sup> الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني/المحقق: إحسان عباس/الدار العربية للكتاب /ليبيا - تونس/ط١/١٩٨١م (١ / ١٦٩).

<sup>٤</sup> أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي، اشتهر بالحميدي وكان أحد تلاميذ ابن حزم، وهو صاحب الكتاب الشهير (جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٤ / ٦١٦).

<sup>٥</sup> شريح بن محمد بن شريح بن أحمد بن محمد شريح بن يوسف بن شريح، الشيخ الإمام الأوحى المعمر الخطيب شيخ المقرئين والمحدثين، أبو الحسن المالكي خطيب إشبيلية، ولد في سنة إحدى وخمسين وأربع مائة، تلا على والده العلامة أبي عبد الله بكتابه (الكافي) في السبع، سير أعلام النبلاء (٢٠ / ١٤).

<sup>٦</sup> ابن رندقة: أبو بكر بن الوليد محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري الطرطوشي، كان أحد تلاميذ ابن حزم تلقى على يده الأدب له كتاب معروف سماه (سراج الملوك)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (١ / ٣١١).

<sup>٧</sup> سير اعلام النبلاء (١٨ / ١٨٠-١٨٦).

## المبحث الثاني: عصر الإمام ابن حزم

### المطلب الأول : الحياة السياسية في عصر الإمام ابن حزم:

(كانت الحياة السياسية في الأندلس في مطلع القرن الخامس الهجري كالشمس حين غروبها، أو كالنجم أفل بعد أن لاح بضائه في كبد السماء، وبعد طول عز ومجد سقطت شجرة الخلافة، ووقع الخلاف وطمع الأوباش في الحكم. لذلك فالحقبة التي عاش فيها ابن حزم هي بداية الإنهيار الكبير فقد بدأت الخلافة بالأندلس منذ إعلان عبد الرحمن الناصر للخلافة الأموية بالأندلس عام ٣١٦هـ حتى سنة ٤٠٠هـ، وهو عهد ملوك الطوائف والذي امتد إلى سنة ٤٨٤هـ، وقد وقعت في هذه الفترة حوادث، ففي عام ٣٥٠هـ توفي عبد الرحمن الناصر<sup>١</sup> أول الخلفاء الأمويين وأعظمهم ثم تولى من بعده ابنه في الحكم وتلقب (بالمستنصر بالله<sup>٢</sup>)، وسار علي سيرة أبيه وفي عام ٣٦٦هـ توفي وتولى الحكم من بعده ابنه هشام بن الحكم ولقب (بالمؤيد<sup>٣</sup>) وكان صغيراً مناهزاً للحلم، مما مكن حاجبه محمد بن أبي عامر أن يستبد بالحكم والدولة وتلقب (بالمنصور<sup>٤</sup>) وبتوليته الحكم بدأ الإضطراب السياسي والفوضى لأنه أراد أن يطلب الخلافة لنفسه فتأثر عليه الأمويون والقرشيون، فعزلوا الخليفة هشام (المؤيد) وبايعوا محمد بن هشام ابن عبد الجبار ولقبوه (بالمهدي<sup>٥</sup>) وقبض على (الناصر) وذهبت دولة العامرين سنة ٣٩٩هـ، ولكن بعد أن فقدت الخلافة الأموية هيبتها ومكانتها. وفي عام ٤٠٠هـ، ثار الجند على الخليفة (المهدي) وبايعوا سليمان بن الحكم الملقب (بالمستعين بالله<sup>٦</sup>)، واستعانوا

<sup>١</sup> هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله، تسمى أمير المؤمنين، وتلقب بالناصر لدين الله، وكان يكنى أبا المطرف، صارت جميع أقطار الأندلس في طاعته، توفي في سنة ٣٥٠ هـ. جذوة المقتبس/ص ١٢-١٣.

<sup>٢</sup> هو الحكم بن عبد الرحمن، ولي وعمره سبع واربعون عاماً، توفي ٣٦٦ هـ. جذوة المقتبس/١٣-١٦.

<sup>٣</sup> هو هشام بن الحكم بن عبد الرحمن، ولي وعمره عشرة اعوام، قتل في ٤٠٣ هـ. جذوة المقتبس (١٧/١).

<sup>٤</sup> هو عبد الرحمن بن محمد أبي عامر الملقب بالناصر، توفي مقتولاً في ٣٩٩ هـ، راجع بغية الملتبس، ص ٣٥٦.

<sup>٥</sup> هو محمد بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر ولي عام ٣٩٩ هـ، ويكنى أبا الوليد، قتل بعد ستة عشر شهراً من ولايته وكانت ولادته عام ٣٦٦ هـ، راجع الجذوة، ص ١٨-١٩.

<sup>٦</sup> العباس بن محمد بن أبي بكر بن سليمان أبو الفضل، المستعين بالله: من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر، مات بالإسكندرية بالطاعون (.....=٨٣٣هـ-.....=٤٣م). الأعلام (٣/ ٢٦٥).

بالنصارى فدخلوا قرطبة، وهلك من خيار الناس وأئمة المساجد الكثير، ولكن في نفس العام استطاع الخليفة (المهدي) وبمعونة النصارى أيضا أن يدخل قرطبة، وطرده البربر ومعهم (المستعين) وفي عام ٤٠٠ هـ ثار الناس علي (المهدي) واجتمعوا علي تجديد البيعة للخليفة المخلوع هشام بن الحكم (المؤيد) وفي هذه الأثناء كان الجند من البربر يحاصرون قرطبة حتى جهد أهل قرطبة وفي عام ٤٠٣ هـ تمكن البربر من اقتحام قرطبة عنوة وقتلوا (المؤيد) ونصبوا (المستعين بالله) خليفة، وتوثب البرابرة والعبيد علي الأعمال فحكموا المدن العظيمة، وصار الملك طوائف منذ عهد هذه الفتنة. وفي عام ٤٠٧ هـ ثار علي بن محمود وتلقب (بالناصر) وملك قرطبة وأسس دولة بني محمود والتي امتدت لسبع سنوات. وفي عام ٤١٤ هـ ثار أهل قرطبة علي بن محمود، وانفقوا علي رد الخلافة إلي أمية فبايعوا عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار ولقبوه (بالمستظهر) وبعد شهرين من ولايته ثار عليه محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله والعامّة وفتكوا به وبويع محمد ولقب (بالمستكفي) عام ٤١٦ هـ، رجع الأمر إلي يحيى ابن حمود وتلقب (بالمستعلي<sup>١</sup>) وفي عام ٤١٧ هـ خلع أهل قرطبة يحيى بن حمود، وبايع عميد الجماعة أبو محمد بن جهور<sup>٢</sup> هشام بن محمد بن عبد الملك وتلقب (بالمعتمد). وفي عام ٤٢٢ هـ خلع الجند (المعتمد) وانقطعت بذلك دولة بني أمية نهائيا. وقد قام بالأمر بعد خلع الخليفة أبو محمد جهور، فرتب الأمر وكان علي سنن الفضل، وفي عام ٤٣٥ هـ تولي الوليد بن محمد<sup>٣</sup> وسار علي سنن أبيه ثم فوض الأمر إلي ابنه عبد الملك<sup>٤</sup> ثم كان عام ٤٦١ هـ حيث خلع عبد

<sup>١</sup> هو يحيى بن علي بن حمود بن ميمون بن أحمد كنيته أبو محمد أو أبو القاسم، تسمى بالخلافة بقرطبة عام ٤١٣ هـ، بعد أن ثار علي عمه القاسم هرب عن قرطبة عام ٤١٤ هـ وقتل ٤٢٠ هـ، الجذوة، ص ٢٤.

<sup>٢</sup> هو أبو الحزم جهور بن عبد الله بن محمد، كان من وزراء الدولة العامرية، تكنى بأبي محمد، توفي عام ٤٣٥ هـ. الجذوة، ص ٢٧.

<sup>٣</sup> هو الوليد بن جهور بن محمد لقب بالرشيد، تولى بعد أبيه واستمر إلى عام ٤٥٧ هـ، فولى أبيه عبد الرحمن أوعبد الملك توفي عام ٤٦٢ هـ. الأعلام (٦/ ٧٤).

<sup>٤</sup> هو عبد الملك بن الوليد محمد بن جهور تولى في عهد أبوه حتى أخرج من قرطبة عام ٤٦١ هـ. الأعلام (٦/ ٧٤).

الملك لأنه أساء السيرة وكرهه الناس، وهذه الفتن والظلمات تتابعن حتى سقطت الأندلس<sup>(١)</sup> .

أما موقف الإمام ابن حزم السياسي فكان يعقد ولاءه لبني أمية وهذا شأن أسرته منذ دخوله الأندلس ، فكان وزيرا للأمويين كما كان أبوه وابن عمه .وعندما بويع الخليفة عبد الرحمن الخامس<sup>٢</sup> في رمضان عام ٤١٤ هـ بعد خلع ابن محمود ولما كان عبد الرحمن الخامس- صديقا لابن حزم - تقلد ابن حزم منصب الوزارة ، ولكن الفتن السياسية لم تمهل الخليفة والوزير ، فقد قتل الخليفة بعد سبعة أسابيع من توليه. وأصبح ابن حزم من جديد بين جدران السجن ، ولا يمكن أن نقرر بالضبط المدة التي قضاها ابن حزم في السجن ولكن من المؤكد أنه كان يعيش في مدينة (شاطبة<sup>٣</sup>)،وبعد هذه الحوادث اعتزل ابن حزم السياسة وتفرغ للعلم والتأليف ،ولقد بدأ ابن حزم مالكيًا ثم شافعيًا متحمسًا لمذهبه ،ثم تحول إلي الظاهرية وأصبح ظاهريًا متحمسًا ولما كان ابن حزم ميالا بطبعه إلي المناظرة، فقد أسرف في نقد العلماء علي اختلاف مذاهبهم، وقد عرض برجال كانوا موضع إجلال السواد الأعظم من المسلمين كالأشعري أبي حنيفة<sup>٤</sup>، ومالك<sup>٥</sup>. لذلك أصبح محاربا مضطهداً، ومع ذلك استطاع أن يستميل أحمد بن رشيق<sup>٦</sup> والي جزيرة (ميورقة<sup>٧</sup>) فناصره

١ أنظر جذوة المقتبس /ص٧٨-٧٩،ابن حزم حياته وعصره /ص ٨٠ وما بعدها.

٢ هو عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار،بويع بالخلافة عام ٤١٤ هـ وله اثنان وعشرون سنة تلقب(بالمستظهر) ويكني أبا المطرف ،قتل عام ٤١٤ هـ.الجذوة/للحميدي /ص ٢٥

٣ شاطبة هي مدينة في شرق الأندلس وهي مدينة كبيرة قديمة. معجم البلدان/ الياقوت(٢٠٩/٣).

٤ هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت من أبناء فارس،وهو من أتباع التابعين،ولد سنة ٨٠ هـ بالكوفة ونشأ بها،وتوفي سنة ١٥٠ هـ،وهو مؤسس المذهب الحنفي،كان يبيع الخرز ويطلب العلم، ثم انقطع للدرس والإفتاء . الأعلام(٤/٩) .

٥ مالك بن أنس بن مالك الاصبحي الحميري، أبو عبد الله: إمام دار الهجرة، وأحد الائمة الاربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية، مولده ووفاته في المدينة،(٩٣ - ١٧٩ هـ = ٧١٢ - ٧٩٥ م). الأعلام للزركلي (٥ / ٢٥٧).

٦ هو أحمد بن رشيق الكاتب أبو العباس،مال إلي الفقه والحديث،وبلغ من رئاسة الدنيا أرفع المنازل فكان في أمور الجهة التي كان فيها نظر العدل.راجع بقية الملتبس/ ص١٨٧.

٧ جزيرة شرق الأندلس. تاريخ ابن خلدون عبد الرحمن بن خلدون/ضبط خليل شحادة/دار الفكر/ط ٦/١٩٨١م (٤/ ١٦٤)، صفة جزيرة الأندلس(٢/١) .

وكان هذا الرجل شغوفاً بالأدب وعلوم الدين وقد احتمى به ابن حزم عندما اتهمه فقهاء قرطبة وغيرهم بمعارضة المذهب المالكي، واستطاع بفضل احتمائه بهذا الوالي أن يكتسب أنصاراً له بهذه الجزيرة بين عامي (٤٣٠-٤٤٠ هـ). ولقد تناقض ابن حزم في حضرة ابن رشيح مع الفقيه المالكي أبي الوليد سليمان الباجي<sup>١</sup> الذي عاد من المشرق، وهذا الفقيه أجبر ابن حزم علي مغادرة الجزيرة، ثم أجبره علي أن يعتكف في قريته (منت ليشم) وقد أحرقت مؤلفاته (باشبيلية<sup>٢</sup>) جهرة، فندد بهذا التصرف الأحمق في قصائد لاذعة. وواصل ابن حزم في عزلته للدرس والتأليف، وكانت ترد علي ابن حزم في عزله هذه زمرة صغيرة من أصاغر الطلبة لم يخشوا فيه ملامة الفقهاء<sup>٣</sup>)، (قال صاعدونقلت من خط ابنه أبي رافع، أن أباه توفي عشية يوم الأحد لليلتين بقيتا من شعبان، سنة ست وخمسين وأربع مئة، فكان عمره إحدى وسبعين سنة وأشهرًا رحمه الله<sup>٤</sup>)، (طمس المذهب في المشرق فحاول ابن حزم أن يجعل له حياة في المغرب، ولكن قومه اشتدوا عليه، فلم يرج المذهب في الأندلس في عصر ابن حزم، ولا بعده بقليل، ولكن حدث أمران أفاد منهما المذهب فائدة جلية: أولهما: أن ابن حزم كان يغشى داره في منفاه أو المكان الثاني الذي اختاره مقاما، تلاميذ له، وقد أغنى أخلاصهم في الكثرة. ثانيهما: أن دون المذهب ووازنه بغيره، ورتب أصوله، وحسبك أنه بهذا التدوين قد استطاع أولو الأمر في مصر أن يقتبسوا ما بنوا عليه الوصية الواجبة، وكذلك أولو الأمر في سوريا<sup>٥</sup>). لم يمت المذهب الظاهري بموت ابن حزم بل أنه نشره من بعده تلاميذه الذين تلقوا عليه ونشروه بنشر كتبه.

## المطلب الثاني: الحياة الاجتماعية في عصر الإمام ابن حزم:

<sup>١</sup> هو سليمان بن خلف بن سعد التجيبي القرطبي، أبو وليد الباجي، فقيه مالكي كبير من رجال الحديث، رحل إلي الحجاز، وعاد إلي الأندلس فولى القضاء توفي عام ٤٧٤ هـ. راجع الأعلام (١٢٥/٣).

<sup>٢</sup> جزيرة في شرق الأندلس، كانت قاعدة مجاهد العامري. معجم البلدان (٢٤٦/٥).

<sup>٣</sup> معجم الأدباء (٣٠/٢)، أنظر سير أعلام النبلاء (١٨ / ٢١١)، راجع دائرة المعارف الإسلامية (١٣٦/١ - ١٤٣).

<sup>٤</sup> سير أعلام النبلاء - (١٨ / ٢١١).

<sup>٥</sup> ابن حزم حياته عصره / ص ٥١٧-٥١٨.

كان المجتمع الأندلسي متعدد الأعراق، ومختلف المواهب جمع من سكان البلاد الأصليين وبين العرب والبربر الوافدين فجمعوا بين خواص كل فئة، يقول المقرئ: (أهل الأندلس عرب في الأنساب، والغرة، والأنفة، وعلو الهمم، وفصاحة الألسن، وطيب النفوس، وإباء الضيم، وقلة احتمال الذل، والسماحة بما في أيديهم، هندیون في فرط عنايتهم بالعلوم، وحبهم فيها، وضبطهم لها، وروايتهم، بغداديون في نظافتهم وظرفهم، ورقة أخلاقهم، ونباهتهم، وذكائهم، يونانيون في استنباطهم للمياه ومعاناتهم لضروب الغرسات، واختيارهم لأجناس الفواكه، وهم أصبر الناس علي مطاولة التعب في تجويد الأعمال<sup>١</sup>) (فبلغني أنه كان يصل كلامه هذا بالتعجب من أهل هذا الأفق في ذكائهم ويتغنى عنهم عند المباحثة والمفاتشة، ويقول لهم: إن علمي علم رواية، وليس بعلم دراية، فخذوا عني ما نقلت، فلم آل لكم أن صححت. هذا مع إقرار الجميع له يومئذ بسعة العلم وكثرة الروايات<sup>٢</sup>).

(وظلت قرطبة بمنأى في المجال الديني عن الحركات المتطرفة من إلحاد وزندقة، ومن الدعاوي غير السنية من خوارج وشيعة، وليس من الممكن القول: إن الدين كان يحتل مكانة هامة، لأن الدين كان الحياة نفسها، عنه تصدر، وبه ترتبط كل مظاهر الحياة الاجتماعية، ويلتزم القرطبي بما يلتزم به أي مسلم، في أي مكان... ولم تكن الحسبة في أي بلد بأكثر احتراماً وهيبه، كما كانت عليه في قرطبة<sup>٣</sup>).

(وكثرة النعيم وطيب المناخ، واتساع الفتوحات أكثرت من الجواري الحسان المثقفات ثقافة عالية، ولم يقتصر دور النساء في المجتمع الأندلسي على تفجير طاقات الشعراء والأدباء وتحريك عواطفهم بما يتمتعن به من جمال وحس مرهف وإنما شاركن الشعراء والأدباء في إثراء الحياة الاجتماعية، فقد وجد كثير من الجواري شاعرات وتقاوت النساء الشعر حتى

<sup>١</sup> ذكره المقرئ نقلاً عن صاحب الفرحة. راجع نفح الطيب (١٤٦/٤).

<sup>٢</sup> الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة - (١ / ١٥).

<sup>٣</sup> دراسات عن ابن حزم/ د. الطاهر مكي/ ص ٥٧.

أنه ظهر من العربيات بل الأمويات من يتغزلن بالشعر، ويتقبلن الغزل شعراً ونثراً وهذه ولادة بنت المستكفي<sup>١</sup> مثلاً لذلك<sup>٢</sup>).

هكذا عاش ابن حزم حياة اجتماعية مليئة بالمظاهر المتنوعة، والمتناقضة - في بعض الأحيان - كان لها أثر في نفسه وفكره، فقد كان من آثار هذه الحياة في نفسه أن اجتمع فيه جفوة اللفظ أحياناً، مع رقة الطبع، أما أثر هذه الحياة في فكره فقد تمثل في بعض مؤلفاته مثل (طوق الحمامة) و (مداواة النفوس)، وقد جاءت هاتان الرسالتان مملوءتين بنتائج دراسته النفسية لتلك الحياة الاجتماعية التي كانت تموج بالعناصر المختلفة والمنازع المتباينة، والمظاهر المتضاربة.

### المطلب الثالث: الحياة العلمية والفكرية في عصر الإمام ابن حزم:

(أما أهل الأندلس في فنون العلم فإنهم أحرص الناس علي التميز فاعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة، ومع هذا فليس لهم مدارس تعينهم علي طلب العلم بل يقرءون جميع العلوم في المساجد، وكل العلوم عندهم حظ فيها واعتناء إلا الفلسفة والتنجيم، فإن لهما حظاً عظيماً عند الخواص، وقراءة القرآن عندهم بالسبع، ورواية الحديث عندهم رفيعة، وللفقه رونق ووجاهة، ولا مذهب عندهم إلا مذهب الإمام مالك، وخواصهم يحفظون من سائر المذاهب ما يباحثون به عند محاضر ملوكهم. وسمة الفقيه عندهم جليلة، وقد يقولون للكاتب والنحوي واللغوي فقيه، لأنها عندهم أرفع السمات، وعلم الأصول عندهم متوسط الحال، والنحوي عندهم في نهاية من علو الطبقة، وكل عالم في أي علم لا يكون متمكناً في علم النحو فليس عندهم بمستحق للتميز<sup>٣</sup>) يقول ابن حزم عن العلم والعلماء في عصره: (كانوا في الذروة العليا من التمكن بأفانين العلوم وفي الغاية القصوى من التحكم علي وجوه المعارف...، وكان أهل الأندلس من التمكن في علوم القراءات

---

<sup>١</sup> ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن الأموي، شاعرة أندلسية من بيت الخلافة كانت تخالط الشعراء وتساجلهم، توفيت عام ٤٨٤ هـ. راجع الأعلام (١٨/٨).

<sup>٢</sup> أنظر ابن حزم حياته وعصره/ص ٩٢.

<sup>٣</sup> نفح الطيب من غصن الأندلس للطبيب (١/٢٢٠ - ٢٢١) .

والروايات، وحفظ كثير من الفقه، والبصيرة بالنحو، والشعر، واللغة، والطب، والحساب، والنجوم<sup>١</sup>).

( إن عصر ابن حزم يُعني بالعلوم ويضع لها مكانة سامية، فكان له الأثر الكبير والحسن في نشأة ابن حزم نشأة علمية راسخة متزنة تتسم بالشمول لكل العلوم. وكان احتكاك المسلمين بالنصارى واليهود وغيرهم في الأندلس مكنت ابن حزم أن يضلّع في علوم الملل والنحل. وكذلك اعتنى الخلفاء والأمراء بجمع الكتب والمكتبات، فقد قال ابن حزم في عظم مكتبات الأندلس: (أخبرني تليد الحصي وكان علي خزانة الكتب بدار بني مروان، أن عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة، وفي كل فهرسة عشرون ورقة، ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين لا غير<sup>٢</sup> ).

فهذه البيئة العلمية المليئة بالمراجع والكتب، مكنت ابن حزم من أن يطلع وأن ينهل حتى يرتوي من علم أهل المشرق وإن يتتلمذ علي كتب الأحناف والشافعية فكتبه تدل علي أنه الخبير واسع الإطلاع علي مسائل الفقهاء.

---

<sup>١</sup> نفح الطيب (١٥٩/٣) وما بعدها .

<sup>٢</sup> ابن حزم حياته وعصره /ص ٩٩، معجم الأدباء (٢٧/٢).

### المبحث الثالث: آراء العلماء عن الإمام ابن حزم

#### المطلب الأول: ثناء العلماء عليه ومكانته العلمية:

١. قال الإمام أبو القاسم صاعد بن أحمد: (كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام، وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان، ووفور حظه من البلاغة والشعر، والمعرفة بالسير والأخبار، أخبرني ابنه الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه أبي محمد من تواليفه أربع مائة مجلد، تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة<sup>١</sup>).

٢. قال: أبو عبدالله الحميدي: (كان ابن حزم حافظاً للحديث وفقهه، مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة، متقناً في علوم جملة، عاملاً بعلمه ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء، وسرعة الحفظ، وكرم النفس والتدين، وكان له في الأدب والشعر نفس واسع، وباع طويل، وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه، وشعره كثير جمعته على حروف المعجم<sup>٢</sup>).

٣. وقال الحافظ الذهبي فيه: (ابن حزم الإمام الأوحد، البحر، ذو الفنون والمعارف أبو محمد، نشأ في تنعم ورفاهية، ورزق ذكاءً مفراطاً، وذهناً سيالاً، وكتباً نفيسة كثيرة، وكان والده من كبراء أهل قرطبة عمل بالوزارة في الدولة العامرية، وكذلك وزر أبو محمد في شببته، وكان قد مهر أولاً في الأدب والأخبار والشعر، وفي المنطق وأجزاء الفلسفة، فأثرت فيه تأثيراً ليته سلم من ذلك، ولقد وقفت له على تأليف يحض على الإعتناء بالمنطق، ويقدمه على العلوم، فتألمت له، فإنه رأس في علوم الإسلام، متبحر في النقل، عديم النظير، على يبس فيه، وفراط ظاهري في الفروع لا الأصول، قيل: أنه تفقه أولاً للشافعي، ثم أداه اجتهاده إلى القول بنفي القياس كله جليه وخفيه، والأخذ بظاهر النص وعموم الكتاب والحديث، والقول بالبراءة الأصلية واستصحاب الحال، وصنف في ذلك كتب كثيرة، وناظر عليه، وبسط لسانه وقلمه، ولم يتأدب مع الأئمة في الخطاب، بل فجج<sup>٣</sup>

<sup>١</sup> نفح الطيب (٧٨/٢)، أنظر العبر (٢٣٩/٣)، سير أعلام النبلاء (١٨٧/١٨).

<sup>٢</sup> سير أعلام النبلاء (١٨٧/١٨ - ١٨٨)، البداية والنهاية (٩٢/١٢)، وفيات الأعيان (٤٤٨/٣).

<sup>٣</sup> فجج: تكبر، تباعد ما بينهما. لسان العرب/جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور/الأفريقي/ط١/بيروت/دار

العبارة وسب وجدع،<sup>١</sup> فكان جزاؤه من جنس فعله، بحيث أنه أعرض عن تصانيفه جماعة من الأئمة، وهجروها ونفروا منها، وأحرقت في وقت، واعتنى بها آخرون من العلماء، وفتشوها انتقاداً واستفادة، وأخذوا ومؤاخذه، ورأوا فيها الدر الثمين ممزوجاً في الرصف بالخرز المهيّن فتارةً يطربون، ومرة يعجبون، ومن تفرده يهزؤون. وفي الجملة فالكمال عزيز...، وقد أثنى عليه قبلنا الكبار...، ومن تواليفه: كتاب تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل، وقد أخذ المنطق - أبعد الله من علم - عن محمد بن الحسن المذحجي<sup>٢</sup>، وأمعن فيه فزلزله في أشياء، ولي أنا ميل إلى أبي محمد لمحبتة في الحديث الصحيح ومعرفته به، وإن كنت لا أوافقه في كثير مما يقول في الرجال والعلل والمسائل البشعة في الأصول والفروع، وأقطع بخطئه في غير ما مسألة ولكن لا أكفره، ولا أضله وأرجو له العفو والمسامحة وللمسلمين، وأخضع لفرط ذكائه وسعة علومه ورأيته قد ذكر قول من يقول: (أجل المصنفات: (الموطأ) فقال: بل أولي الكتب بالتعظيم (صحيحاً) البخاري<sup>٣</sup> ومسلم<sup>٤</sup>)<sup>٥</sup>.

٥. وقال أبو حامد الغزالي<sup>٦</sup>: (وجدت في أسماء الله تعالى كتاباً ألفه أبو محمد بن حزم الأندلسي يدل على عظم حفظه، وسيلان ذهنه<sup>١</sup>).

صادر للطباعة/ ٢٠٠٠م (١٣٠/١١).

<sup>١</sup> جدع: القطع . لسان العرب (٩٥/٣).

<sup>٢</sup> محمد بن الحسن المذحجي أبو عبد الله يعرف بابن الكتاني، ذكره الحميدي في تاريخ الأندلس وقال: له مشاركة قوية في علم الأدب والشعر وله تقدم في علوم المنطق والطب والكلام. الوافي بالوفيات/ للصفي صلاح الدين خليل بن ايبك/ ٧٦٤هـ/ تحقيق أحمد الأناؤوط وتركي مصطفى/ ط١/ بيروت/ دار أحياء التراث العربي - (١ / ٢٩١).

<sup>٣</sup> محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف الجعفي، الإمام الحافظ، أبو عبد الله البخاري ولد سنة ١٩٤هـ وتوفي سنة ٢٥٦هـ من تصانيفه، الجامع الصحيح. هدية العارفين/ إسماعيل باشا البغدادي/ طبع بعناية وكالة المعارف الجبلية في مطبعتها البهية استانبول/ سنة ١٩٥١م/ منشورات مكتبة المثنى/ بغداد (١٦/٢).

<sup>٤</sup> الإمام الحافظ أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ولد سنة ٢٠٤هـ توفي سنة ٢٦١هـ صنف الجامع الصحيح وهو أحد الصحيحين/ هدية العارفين (٢/ ٤٣١-٤٣٢).

<sup>٥</sup> سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٨٤ - ٢٠٠ - ٢٠٢).

<sup>٦</sup> محمد بن محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام: فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف، (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ = ١٠٥٨ - ١١١١ م). الأعلام للزركلي (٧/ ٢٢).

٦. قال فيه ابن كثير<sup>٢</sup>: (الإمام الحافظ العلامة، قرأ القرآن، واشتغل بالعلوم النافعة الشرعية وبرز فيها، وفاق أهل زمانه وصنف الكتب المشهورة، يقال: إنه صنف اربعمئة مجلد في قريب من ثمانين ألف ورقة، وكان أديبا طبيبا شاعرا فصيحاً، له في الطب والمنطق كتب، وكان من بيت وزارة ورياسة ووجاهة ومال وثروة<sup>٣</sup>).

٧. و قال فيه السيوطي<sup>٤</sup> (: "كان أولاً شافعيًا ثم تحول ظاهريًا، وكان صاحب فنون وورع وزهد، وإليه المنتهى في الذكاء والحفظ وسعة الدائرة في العلوم، أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم مع توسعه في علوم اللسان والبلاغة والشعر والسير والأخبار<sup>٥</sup>).

٨. قال أبو مروان بن حيان: (كان ابن حزم - رحمه الله - حامل فنون من حديث وفقه وجدل ونسب، وما يتعلق بأذيال الأدب، مع المشاركة في أنواع التعاليم القديمة من المنطق والفلسفة، ولجرائته في التسور علي الفنون لاسيما المنطق، فإنهم زعموا انه زل هنالك، وضل في سلوك المسالك، وخالف ارسطاطاس<sup>٦</sup> واضع الفن مخالفة لم يفهم غرضه، ولا ارتاض<sup>٧</sup>، ومال أولاً إلى النظر علي رأي الشافعي، وناضل عن مذهبه حتى وسم به، فاستهدف بذلك لكثير من الفقهاء وعيب بالشذوذ، ثم عدل إلى قول أصحاب الظاهر، ففتح وجادل عنه، وثبت عليه إلى أن مات، وكان يحمل علمه هذا، ويجادل عنه

---

<sup>١</sup> نفح الطيب (٧٨/٢)، أنظر العبر (٢٣٩/٣)، سير أعلام النبلاء (١٨٧/١٨).

<sup>٢</sup> الإمام المحدث الحافظ ذو الفضائل عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القيسي البصري، ولد سنة سبعمائة. طبقات الحفاظ/ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر للسيوطي/ت/٨٤٩هـ/دار الكتب العلمية/بيروت/ط٢/١٤١٤هـ/١٩٩٤م (١ / ٢٤٢).

<sup>٣</sup> البداية والنهاية (٩١/ ١٢).

<sup>٤</sup> عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد سابق الدين الخضير الأسيوطي، (٨٤٩هـ/١٤٤٥م - ٩١١هـ/١٥٠٥م) من كبار علماء المسلمين. مشاهير أعلام المسلمين/علي بن نايف الشحود (١ / ١٦٥).

<sup>٥</sup> طبقات الحفاظ/للسيوطي (١ / ١٩٠).

<sup>٦</sup> أرسطاطاليس الحكيم - وقيل فيه أرسطو طاليس - بن الحكيم الفيثاغوري، وكان تلميذ افلاطون الحكيم، وكان افلاطون يقدمه على غيره من تلاميذه، وبه ختمت حكمه اليونانيين. بغية الطلب في تاريخ حلب (١ / ٤٧٠).

<sup>٧</sup> ارتاض: وطأها وذللها وعلمها السير. لسان العرب (٥ / ٢٦٣).

من خالفه، على استرسال في طباعه ومذل<sup>١</sup>، بأسراره واستناد إلى العهد الذي أخذه الله على العلماء: { لَتَبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ<sup>٢</sup> }، فلم يك بلطف صدعه بما عنده بتعريض ولا بتدريج، بل يصك به من عارضه صك الجندل<sup>٣</sup> وينشقه إنشاق الخردل، فتتفر عنه القلوب، وتوقع به الندوب، حتى استهدف لفقهاء وقته، فتمالؤوا عليه، وأجمعوا على تضليله، وشنعوا عليه وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عن الدنو منه، فطفق الملوك يقصونه عن قريبهم ويسيرونه عن بلادهم إلى أن انتهوا به منقطع أثره: بلدة من بادية لبلة، وهو في ذلك غير مرتدع ولا راجع، يبيث علمه فيمن ينتابه من بادية بلده، من عامة المقتبسين من أصاغر الطلبة، الذين لا يخشون فيه الملامة، يحدثهم، ويفقههم، ويدارسهم حتى كمل من مصنفاته وقرّر بغير، لم يعد أكثرها باديته لزهد الفقهاء فيها، حتى لأحرق بعضها باشبيلية، ومزقت علانية، وأكثر معايبه جهله بسياسة العلم التي هي أعوص، وتخلفه عن ذلك على قوة سبحة في غماره وعلى ذلك فلم يكن بالسليم من اضطراب رأيه، ومغيب شاهد علمه عنه عند لقائه إلى أن يحرك بالسؤال، فيتفجر منه بحر علم لا تكدره الدلاء، وكان مما يزيد في شنانه تشييعه لأمرأى بني أمية ماضيهم وباقيهم، واعتقاده لصحة إمامتهم حتى لينسب إلى النصب<sup>٤</sup>).

٩. وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام<sup>٥</sup>: (كان أحد المجتهدين: ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل المحلي لابن حزم، وكتاب المغنى للشيخ موفق الدين<sup>١</sup> قلت: لقد صدق الشيخ عز الدين، وثالثهما السنن الكبرى للبيهقي<sup>٢</sup>، ورابعها التمهيد لابن عبد البر<sup>٣</sup> فمن حصل هذه الدواوين كان من أنكياء المفتين، وأدمن المطالعة فيها فهو العالم حقاً).

<sup>١</sup> مذل: الضجر والقلق، مذل مذللاً فهو مذل والأثنى مَذْلَة، لسان العرب (٦٢١/١١).

<sup>٢</sup> سورة آل عمران الآية ١٨٧.

<sup>٣</sup> الجندل: حجارة / لسان العرب (٢٦٣ / ٣).

<sup>٤</sup> سير أعلام النبلاء (١٨ / ٢٢٠-٢٢١).

<sup>٥</sup> السيد العلامة عز الدين بن محمد بن عز الدين بن صلاح بن الحسن ابن الإمام عز الدين بن المؤيدي الحسنى، أخذ عن والده مؤلف الحاشية المشهورة على كافية ابن الحاجب وغيره، وكان سيداً جليلاً عالماً مفتياً ينوب في القضاء والفتيا عن ولاية الأتراك بمدينة صعدة. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع/محمد بن علي الشوكاني (١٠ / ٣).

١٠. وقال اليسع بن حزم الغافقي: ° وذكر أبا محمد فقال: (أما محفوظه فبحر عجاج<sup>٦</sup> وماء ثجاج<sup>٧</sup>، يخرج من بحره مرجان الحكم، وينبت بثجاجة ألفاف النعم في رياض الهمم، لقد حفظ علوم المسلمين، وأربى على كل أهل دين، وألف "الملل والنحل" وكان في صباه يلبس الحرير، ولا يرضى من المكانة إلا بالسرير<sup>٨</sup>).

١١. وقال الإمام ابن تيمية<sup>٩</sup>: (وَإِنْ كَانَ لَهُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْدِّينِ وَالْعُلُومِ الْوَاسِعَةِ الْكَثِيرَةِ مَا لَا يَدْفَعُهُ إِلَّا مُكَابِرٌ، وَيُوجَدُ فِي كُتُبِهِ مِنْ كَثَرَةِ الْإِطْلَاعِ عَلَى الْأَقْوَالِ وَالْمَعْرِفَةِ بِالْأَحْوَالِ، وَالتَّعْظِيمِ لِدَعَائِمِ الْإِسْلَامِ وَلِجَانِبِ الرِّسَالَةِ مَا لَا يَجْتَمِعُ مِثْلُهُ لِغَيْرِهِ<sup>١٠</sup>).

١٢. وقال المؤرخ ابن العماد الحنبلي<sup>١١</sup>: (وكان إليه المنتهى في الذكاء وحدة الذهن وسعة العلم بالكتاب والسنة والمذاهب والملل والنحل والعربية والآداب والمنطق والشعر مع الصدق والديانة والحشمة والسودد والرياسة والثروة وكثرة الكتب<sup>١</sup>).

---

<sup>١</sup> هو الإمام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الدمشقي، أحد الأعلام في مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، المتوفي سنة ٦٢٠ هـ/ سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٩٣).

<sup>٢</sup> أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر: من أئمة الحديث، ولد في خسروجرد (من قرى بيهق، بنيسابور) ونشأ في بيهق ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرهما (٣٨٤-٤٥٨ هـ = ٩٩٤-١٠٦٦ م). الأعلام للزركلي (١/ ١١٦).

<sup>٣</sup> أحمد بن محمد بن عبد البر، من موالى بني أمية، أبو عبد الملك: مؤرخ، من فقهاء قرطبة، توفي في السجن (١٠٠٠- ٣٣٨ هـ = ٩٥٠ - ١٠٠٠ م). الأعلام للزركلي (١/ ٢٠٧).

<sup>٤</sup> سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٩٣).

<sup>٥</sup> أبو يحيى اليسع بن حزم الغافقي، مات في سنة ٥٧٥ هـ، سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٥٣).

<sup>٦</sup> عجاج: تسمع لمائة صوت: كثير الماء، لسان العرب (١٠/ ٣٩).

<sup>٧</sup> ثجاج: مصبوب، لسان العرب (٣/ ١٠).

<sup>٨</sup> سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٩٠ - ١٩١).

<sup>٩</sup> أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحاراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، الإمام، شيخ الإسلام (٦٦١ - ٧٢٨ هـ = ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م). الأعلام للزركلي (١/ ١٤٤).

<sup>١٠</sup> مجموع الفتاوى/ للإمام أحمد بن تيمية (٧٢٨ هـ)/ جمع وترتيب/ عبدالرحمن بن قاسم النجدي، وابنه محمد/ المملكة العربية السعودية/ تصوير عن طبعة الأولى/ ١٣٩٨ (٤/ ١٩ - ٢٠).

<sup>١١</sup> القاضي شمس الدين بن العماد الحنبلي محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور الشيخ الإمام. الوافي بالوفيات/ للصفدي صلاح الدين خليل بن ايبك/ ٧٦٤ هـ/ تحقيق أحمد الأناؤوط وتركي مصطفى/ ط١/ بيروت/ دار أحياء التراث العربي (١/ ١٥٥).

١٣. قال المنصور الموحي<sup>٢</sup> علي قبره : (كل العلماء عيال علي ابن حزم<sup>٣</sup>)

ولاشك أن ابن حزم - رحمه الله تعالى - كان يستحق كل هذا الثناء، كما يستحق تلك المنزلة الرفيعة التي تبوأها فلم يطلب العلم طمعا في المال، أو الشهرة، وإنما طلب العلم للعلم، وابتغاء الثواب من الله تعالى.

### المطلب الثاني: ذم وجرح العلماء له:

قال الحافظ الذهبي<sup>٤</sup>: (وقد حط أبوبكر بن العربي<sup>٥</sup> على أبي محمد في كتاب "القواصم والعواصم")، وعلى الظاهرية فقال: هي أمة سخيفة، تسورت على مرتبة ليست لها، وتكلمت بكلام لم نفهمه، تلقوه من إخوانهم الخوارج حين حكم علي- رضي الله عنه-. يوم صفين، فقالت: لا حكم إلا لله. وكان أول بدعة لقيت في رحلتي القول بالباطن، فلما عدت، وجدت القول بالظاهر قد ملأ به المغرب سخياف كان من بادية إشبيلية يعرف بابن حزم، نشأ وتعلق بمذهب الشافعي، ثم انتسب إلى داود، ثم خلع الكل، واستقل بنفسه، وزعم أنه إمام الأمة يضع ويرفع، ويحكم ويشرع، ينسب إلى دين الله ما ليس فيه، ويقول عن العلماء ما لم يقولوا تنفيرا للقلوب منهم، وخرج عن طريق المشبهة في ذات الله وصفاته، فجاء فيه بطوام، واتفق كونه بين قوم لا بصر لهم إلا بالمسائل، وإذا طالبهم

---

<sup>١</sup> شذرات الذهب (٣/ ٢٩٨).

<sup>٢</sup> يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي الموحي، أبا يوسف، ولد بمراكش عام ٥٥٤ هـ وتوفي عام ٥٩٥ هـ استقامت الأحوال في أيامه، وعظمت الفتوحات، وكان شديداً في دينه، أمر برفض فروع الفقه ونهي الفقهاء عن الإفتاء إلا بالكتاب والسنة، وأبطل التقليد. راجع الأعلام (٤/ ٢٢).

<sup>٣</sup> دائرة المعارف الإسلامية (١/ ١٤٢). نفح الطيب (٤/ ٢٢).

<sup>٤</sup> أحمد بن إسماعيل بن الشريف محمد بن علي الحسني، المولى أبو العباس السجلماسي المعروف بالذهبي: من سلاطين دولة الأشراف العلويين في إفريقية، بويغ بعد وفاة أبيه سنة ١١٣٩ هـ، فبسط يده في العطاء حتى عرف بالذهبي (١١٤١-١١٥٠ هـ = ١٧٢٩-١٨٠٠ م). الأعلام للزركلي (١/ ٩٨).

<sup>٥</sup> محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربي: قاض، من حفاظ الحديث، ولد في إشبيلية، ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين وصنف كتباً في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ. (٤٦٨ - ٤٥٣ هـ = ١٠٧٦ - ١١٤٨ م) الأعلام للزركلي (٦/ ٢٣٠).

بالدليل كاعوا<sup>١</sup>، فيتضاحك مع أصحابه منهم، وعضدته الرئاسة بما كان عنده من أدب، وبشبهه كان يوردها على الملوك، فكانوا يحملونه ويحمونه، بما كان يلقي إليهم من شبه البدع والشرك، وفي حين عودي من الرحلة ألفت حضرتي منهم طافحة، ونار ضلالهم لافحة، فقاسيتهم مع غير أقران، وفي عدم أنصار إلى حساد يطؤون عقبي، تارةً تذهب لهم نفسي، وأخرى ينكشر لهم ضرسي، وأنا ما بين إعراض عنهم أو تشغيب بهم، وقد جاءني رجل بجزء لابن حزم سماه (نكت الإسلام)، فيه دواهي، فجردت عليه نواهي، وجاءني آخر برسالة في الاعتقاد فنقضتها برسالة (الغرة)، والأمر أفحش أن ينفض. يقولون: لا قول إلا ما قال الله ولا نتبع إلا رسول الله، فإن الله لم يأمر بالافتداء بأحد، ولا بالاهتداء بهدي بشر. فيجب أن يتحققوا أنهم ليس لهم دليل، وإنما هي سخافة في تهويل، فأوصيكم بوصيتين: أن لا تستدلوا عليهم وأن تطالبوهم بالدليل، فإن المبتدع إذا استدلت عليه شغب عليك، وإذا طالبت بالدليل لم يجد إليه سبيلاً. فأما قولهم: لا قول إلا ما قال الله، فحق، ولكن أرني ما قال. وأما قولهم: لا حكم إلا الله فغير مسلم على الإطلاق، بل من حكم الله أن يجعل الحكم لغيره فيما قال وأخبر به. صح أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (وَإِذَا حَاصِرَتْ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ فَلَا تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِكَ)<sup>٢</sup>، وصح أنه قال: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء)<sup>٣</sup>.

ثم عقب الحافظ على كلام ابن العربي فقال: (لم ينصف القاضي أبو بكر - رحمه الله - شيخ أبيه في العلم، ولا تكلم فيه بالقسط وبالغ في الاستخفاف به، وأبو بكر فعلى عظمته في العلم لا يبلغ رتبة أبي محمد، ولا يكاد، فرحمهم الله وغفر لهما)<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> كاعو: جنبوه واستزللته واستضعفته - لسان العرب (١٣ / ١٣١).

<sup>٢</sup> الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (١٠٦ - ٢٦١هـ) محمد فؤاد عبد الباقي دار الحديث/القاهرة ط١/١٤١٢هـ . ١٩٩١م . (٣٣ كتاب الجهاد والسير/٢ باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بأداب الغزو/ح ٤٦١٩ (٥ / ١٣٩).

<sup>٣</sup> سنن الترمذي (٤٢ كتاب العلم / ١٦ باب ما جاء في الأخذ بالسنة/ح ٢٦٧٦ (٥ / ٢٧). قال الترمذي: هذا حديث

حسن صحيح.

٤ الذهبي .

---

<sup>١</sup> سير أعلام النبلاء (١٨ / ١٨٨٨-١٩٠)، تنكرة الحفاظ (٣ / ١١٤٩-١١٥٠).



## المبحث الأول: أصول الإمام ابن حزم

تقدم أن ابن حزم هو الإمام الثاني في المذهب، لذا يمكن حصر أصول مذهبه في الأصول التي ينهض عليها المذهب الظاهري، فهي القرآن والسنة عند مورد النص ما لم يقيم الدليل على إرادة غير الظاهر من النص ثم الإجماع. أما باقي الأدلة الأخرى من القياس والرأي والاستحسان وسد الذرائع لا تعتبر من الأدلة عند ابن حزم حيث أنكر الأخذ بها وجادل الفقهاء فيها.

### المطلب الأول: الأدلة من الكتاب والسنة:

يقول ابن حزم في اعتبار الكتاب الكريم أصلاً: (وكل ما قلنا فلم نقله جزافاً، بل لم نقل كلمة في ذلك كله، إلا مما قال الله تعالى شاهداً بصحته وميزه العقل، عالماً بحقيقته<sup>١</sup>). وقد دلل ابن حزم على إتباع الكتاب والسنة إنما لما نص عليه الله تعالى في كتابه العزيز في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا<sup>٢</sup>}. حيث قال ابن حزم: (نظرنا في هذه الآية فوجدناها جامعة لكل ما تكلم فيه الناس أولهم عن آخرهم، مما أجمعوا عليه، واختلفوا فيه عن الأحكام والعبادات التي شرعها الله عز وجل، لا يشذ عنها شيء من ذلك، فكان كتابنا هذا كله في بيان العمل بهذه الآية وكيفيته وبيان الطاعتين المأمور بهما لله تعالى ولرسوله عليه السلام، ببيان عمل أولي الأمر، ومن هؤلاء أولو الأمر، وبيان التنازع منا، وبيان ما يقع فيه التنازع، وبيان رد ما نوزع فيه إلى الله تعالى ورسوله عليه السلام، وهذا جماع الديانة كلها، ووجدناه قد قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي<sup>٣</sup>} وبكمال الدين أيقنا بأن كل ما كمل فليس لأحد أن يزيد فيه، ولا أن ينقص منه ولا أن يبدله، فصَحَّ بهذه الآية إن الدين

<sup>١</sup> الإحكام في أصول الأحكام/ لابن حزم (١ / ٨).

<sup>٢</sup> سورة النساء الآية ٥٩.

<sup>٣</sup> سورة المائدة الآية ٣.

كله لا يؤخذ إلا عن الله عز وجل، ثم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم<sup>١</sup>. قال تعالى: {اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ} يقول ابن حزم: ( فان تعارض فيما يرى المرء آيتان او حديثان صحيحان أو حديث صحيح وآية فالواجب استعمالهما جميعاً، لأن طاعتهما سواء في الوجوب، فلا يحل ترك أحدهما للأخر ما دمنا نقدر على ذلك، وهذا إلا بان نستثنى الأقل معاني من الأكثر، فان لم نقدر على ذلك وجب الأخذ بالزائد حكماً لأنه متيقن وجوبه ولا يحل ترك اليقين بالظنون ولا إشكال في الدين قد بين الله تعالى دينه)<sup>٣</sup>.

ومما تقدم فابن حزم حصر الأدلة التي يعتمد عليها في مذهبه وهي تقيده بالكتاب والسنة وقوف بها عند ظاهر النص وعند عدم النص فالإجماع والناظر لفقهه خاصة في كتاب المحلى تجده يتقيد بالكتاب والسنة والإجماع وينكر على باقي الفقهاء الخروج عن هذه الأدلة والأخذ بغيرها.

### المطلب الثاني: رأى الإمام ابن حزم والجمهور في الإجماع:

قسّم ابن حزم الإجماع إلى مراتب للأخذ به وذلك عند عدم النص ( فذهب إلى تقسيم الإجماع إلى إجماع لازم، وإجماع جوازي والإجماع اللازم وهو ما اتفق جميع العلماء على وجوبه أو على تحريمه أو على أنه مباح لا واجب، والإجماع الجوازي هو ما اتفق جميع العلماء على أن من فعله أو اجتنبه فقد أدى ما عليه من فعل أو اجتناب أو لم يأثم<sup>٤</sup>).

وقد أنكر ابن حزم على الفقهاء إدخالهم أوصافاً وأنواعاً من الإجماع ليس فيه ومن ذلك قوله: (وقد أدخل قوم في الاجماع ما ليس فيه، وقوم عدوا قول الاكثر اجماعا وقوم عدوا ما لا يعرفون فيه خلافا اجماعا وان لم يقطعوا على أنه لا خلاف فيه، وقوم عدوا قول صاحب المشهور المنتشر اذا لم يعلموا له من الصحابة مخالفا وان وجد الخلاف من

<sup>١</sup> الإحكام (١ / ٩ - ١٠).

<sup>٢</sup> سورة الأعراف الآية ٣.

<sup>٣</sup> المحلى (١، ٥١).

<sup>٤</sup> مراتب الإجماع / لابن حزم ( نسخة بخط اليد) مكتبة الشنقيطي/ بجامعة الخرطوم / ص ٥ - ٦.

التابعين فمن بعدهم فعدوه اجماعاً، وقوم عدوا قول صاحب الذي لا يعرفون له مخالفاً من الصحابة رضي الله عنهم وإن لم يشتهر ولا انتشر اجماعاً، وقوم عدوا قول أهل المدينة اجماعاً، وقوم عدوا قول أهل الكوفة اجماعاً، وقوم عدوا اتفاق العصر الثاني على أحد قولين أو أكثر كانت للعصر الذي قبله اجماعاً، وكل هذه آراء فاسدة<sup>١</sup>).

وقال ابن حزم (الإجماع هو ما يتيقن أن جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفوه وقالوا به، ولم يختلف منهم أحد، كتيقننا أنهم كلهم رضي عنهم صلوا معه عليه السلام الصلوات الخمس كما هي في عدد ركوعها، وكذلك أنهم صاموا معه، وكذلك الشرائع التي تيقنت مثل هذا اليقين. والتي من لم يقر بها لم يكن من المؤمنين، وهذا ما لا يختلف أحد في أنه إجماع وهم كانوا حينئذ جميع المؤمنين، ولا مؤمن في الأرض غيرهم ومن ادعى أن غير هذا هو إجماع كلف البرهان على ما يدعى ولا سبيل إليه. وما صح فيه خلاف من واحد منهم، أو لم يتيقن أن كل واحد منهم رضي الله عنهم عرفه ودان به، فليس إجماعاً، لأن من ادعى الإجماع هنا فقد كذب وفقاً، فصح من هذا أنه لا يجوز ألينة أن يجمع أهل العصر ولو طرفة علينا على خطأ لا بد من قائل بالحق فيهم، وأما أنه ليس إجماعاً فلأن أهل كل عصر بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم ليس جميع المؤمنين وإنما هم بعض المؤمنين، والإجماع إنما هو إجماع جميع المؤمنين لا إجماع بعضهم<sup>٢</sup>).

أما قول الجمهور: (الإجماع وهو اتفاق جملة أهل الحل والعقد من أمة محمد في عصر من الأعصار على حكم واقعة من الوقائع<sup>٣</sup>)، (أما الإجماع من جهة كيفية حصوله فهو نوعان: أحدهما: الإجماع الصحيح: وهو أن يتفق مجتهدو العصر على حكم واقعة، بإبداء كل منهم رأيه صراحة بفتوى أو قضاء، أي أن كل مجتهد يصدر منه قول أو فعل يعبر صراحة عن رأيه. وثانيهما: الإجماع السكوتي: وهو أن يبدي بعض مجتهدي العصر رأيهم صراحة في الواقعة بفتوى أو قضاء، ويسكت باقيهم عن إبداء رأيهم فيها بموافقة ما أبدي

<sup>١</sup> المرجع السابق / ص ٩ - ١٠.

<sup>٢</sup> المحلي (١/٥٤-٥٥)

<sup>٣</sup> الإحكام في أصول الأحكام/ علي بن محمد الآمدي أبو الحسن/ دار الكتاب العربي - بيروت/ ط ١/ ١٤٠٤ هـ (١/ ٢٥٤).

فيها أو مخالفته. أما النوع الأول وهو الإجماع الصريح فهو الإجماع الحقيقي، وهو حجة شرعية في مذهب الجمهور. وأما النوع الثاني وهو الإجماع السكوتي فهو إجماع اعتباري، لأن الساكت لا جزم بأنه موافقة، فلا جزم بتحقيق الاتفاق وانعقاد الإجماع، ولهذا اختلف في حجيته، فذهب الجمهور إلى أنه ليس حجة، وأنه لا يخرج عن كونه رأي بعض أفراد من المجتهدين<sup>١</sup>). واستدل الجمهور<sup>٢</sup> على حجية الإجماع بالآتي:

الكتاب: قال تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ<sup>٣</sup>} {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ} {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا<sup>٤</sup>}.  
وجه الاستدلال: جمع الله تعالى بين مشاققة الرسول وإتباع غير سبيل المؤمنين في الوعيد فلو كان غير سبيل المؤمنين مباحاً لما جمع بينه وبين المحذور. ومتابعة غير سبيل المؤمنين عبارة عن متابعة قول أو فتوى غير قولهم وفتواهم وإذا كانت تلك محظورة وجب أن يكون متابعة قولهم وفتواهم واجبة<sup>٥</sup>).

وتكاد تكون جميع المؤلفات التي تتحدث عن الإجماع ذكرت هذه الآية وقد نوقشت نقاشاً مستفيضاً من قبل المقرين والمانعين لحجية الإجماع.

<sup>١</sup> علم أصول الفقه عبد الوهاب خلاف (ت: ١٣٧٥هـ) مكتبة الدعوة - شباب الأزهر/ ط ٨/ دار القلم (١/٥١).

<sup>٢</sup> إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول/ محمد بن علي بن محمد الشوكاني/ ت (١٢٥٠هـ) تحقيق/ الشيخ أحمد عزو عناية/ دمشق - كفر بطنا/ دار الكتاب العربي/ ط ١/ ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م (١/١٩٨). مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول/ الشريف أبي عبد الله محمد بن أحمد المالكي التلمساني/ دار الكتب العلمية/ ج ٢/ بيروت/ لبنان ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م. المحصول في علم الأصول/ محمد بن عمر بن الحسين الرازي/ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض/ ط ١/ ١٤٠٠هـ/ تحقيق: طه جابر فياض العلواني (٤/٤٧-٤٨).

<sup>٣</sup> سورة آل عمران الآية ١١٠.

<sup>٤</sup> سورة النساء الآية ٥٩.

<sup>٥</sup> سورة النساء الآية ١١٥.

<sup>٦</sup> المحصول (٤/٤٧).

**السنة:** قوله صلى الله عليه وسلم: (سَأَلْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يَجْمَعَ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ فَأَعْطَانِيهَا ١) (فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ ٢). وقد تحدث العلماء عن هذه الأخبار في ثلاثة طرق:-

١. إدعاء الضرورة في تواتر معنى هذا الخبر وقالوا لأنه نقل هذا المعنى بألفاظ مختلفة بلغت حد التواتر.

٢. وهو الاستدلال من وجهين: أحدهما: إن هذه الأخبار لو صحت لثبت بها أصل عظيم مقدم على الكتاب والسنة وما كان هذا شأنه كانت الدواعي متوفرة على البحث عنه بأقصى الوجوه. فلما لم يقدر أحد على الطعن فيها علمنا صحتها. ثانيهما: أنه قد ظهر من التابعين إجماعهم على أن الإجماع حجة، وظهر منهم استدلالهم على ذلك بهذه الأخبار. والإستقرار دل على أن أمتنا لا يجمعون على متن خبر لأجل الخبر إلا ويكونون قاطعين بصحة ذلك الخبر فهذا ميل على قطعهم بصحة الخبر ٣).

٣. إنا نسلم أن هذه الأخبار من باب الإتحاد تدعي الظن بصحتها صحة فيحصل حينئذ أن الإجماع حجة، وإذا كان كذلك وجب العمل به لأن دفع الضرر المظنون واجب، وهذا الطريق أجود الطرق ٤). والصحيح هو إجماع الصحابة رضوان الله عليهم عنده، وكذا إجماع كل عصر صحيح إذا لم يتقدم قبله في تلك المسألة خلاف ذلك، أن صفة الإجماع

---

<sup>١</sup> مسند الإمام أحمد بن حنبل/ أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني/ مؤسسة قرطبة - القاهرة (ج ٤/ حديث أبي بصرة الغفاري/ ح ر ٢٧٢٢٤ (٤٥/ ٢٠٠). وفيه رجل لم يسم. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/ للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي/ طبعة دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢ م (١/ ٢١٧).

<sup>٢</sup> مسند الإمام أحمد بن حنبل (مسند عبدالله بن مسعود رضى الله عنه/ ح ر ٣٦٠٠ (٦/ ٨٤). تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناداه حسن.

<sup>٣</sup> وهي الألفاظ التي ذكرت آنفاً. تيسير العلي القدير اختصار تفسير ابن كثير/ محمد نسيب الرفاعي/ مكتبة المعارف/ الرياض (١/ ٤٤٠-٤٤١).

<sup>٤</sup> المرجع السابق/ ص ٤٠.

هو ما تيقن أنه لا خلاف فيه بين أحد من علماء المسلمين ويعني بهم من عرف عنهم الفتوى من الصحابة والتابعين ومن تبعهم وعلماء الأمصار وأئمة الحديث ومن تبعهم<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثالث: رأى الإمام ابن حزم فى الاستصحاب والدليل:

إن ابن حزم ترك الأخذ بالرأى بكافة ضروبه من قياس ومصلحة واستحسان، وسد الذرائع، فما الذى يعتمد عليه فيما لا نص فيه؟ إنه يعتمد على الاستصحاب، وذلك أن الاستصحاب معناه عنده بقاء الحكم المبنى على النص، وقد قرر أن إباحة الأشياء كلها إلا ما جاء به التحريم ثابت بالنص، فقد قال تعالى عند نزول آدم الى الأرض: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾<sup>(٢)</sup>، ويقول فى هذا النص: (أباح الله تعالى الأشياء بقوله إنما متاع لنا، ثم خطر ما شاء، وكل ذلك يشرع<sup>(٣)</sup>) وقد أخذ الإمام ابن حزم بالاستصحاب وترك الاجتهاد بقياس يجعل الأشياء المتماثلة ذات حكم واحد أداه إلى غرائب منها: (يقرر أن بول الإنسان فى الماء الراكد ينجسه، بينما بول الخنزير لا ينجسه لأن النص لم يرد إلا فى بول الإنسان، فلا قياس عليه بول الحيوان ولو خنزيراً<sup>(٤)</sup>).

(الدليل: هو المصدر الرابع من مصادر الاستنباط التي سلكها ابن حزم، وقد ادعى مخالفوه أنه أنكر القياس حجة شرعية، لكن تفريع الأحكام اضطره لأن يثبت ما نفى، وسماه الدليل بدل القياس<sup>(٥)</sup>)، (يبين أن الدليل هو أمر مأخوذ من الاجماع، أو النص، فهو مولد منهما، يعد من دلالتهما وليس حملا عليهما بإستخراج علة، إنما هو أمر يؤخذ من ذاتهما، وليس حملا عليهما، وهو بهذا يخالف القياس، لأن القياس أساسه استخراج علة من النص ثم إعطاء حكم النص على كل ما تتحقق فيه العلة، أما الدليل المعتمد على النصوص أو المأخوذ منها فهو قد أخذ من النص نفسه<sup>(٦)</sup>). فقد هدم ابن حزم صرح

<sup>١</sup> تيسير العلي القدير اختصار تفسير ابن كثير (١/ ١٢ - ١٤).

<sup>٢</sup> سورة البقرة الآية ٣٦.

<sup>٣</sup> الإحكام (٥٨/١).

<sup>٤</sup> المحلى (٦٩/١).

<sup>٥</sup> ابن حزم حياته عصره / ٣٥٩.

<sup>٦</sup> أنظر المحلى (٤٨٣/٧)، ابن حزم حياته عصره رأؤه / ص ٢٥٨.

الاستنباط لعدم أخذه بالرأى وعدم اعتبار النصوص معقولة المعنى، فلم يبين أحكامها على علل مستتبطة، وعلى مصالح مقررة، ولا إلحاق الأشياء بأشباهاها، وإعطاء المتماثلين حكماً واحداً.

#### المطلب الرابع: رأى الإمام ابن حزم فى التعليل:

(أما التعليل أن يستخرج المفتي علة للحكم الذي جاء به النص. كما يرى ابن حزم أن القول بالتعليل باطل لأنه إخبار عن الله تعالى أنه حكم بكذا من أجل تلك العلة وإخبار عن الله تعالى بما لم يخبر به عن نفسه.

ووجه إنكاره للتعليل أنه يرى أنه لا إنكار لما نص الله ورسوله عليه بل الإنكار لم يستخرج عليه التعليل سنده عقول من قال بالتعليل بلا دليل أو برهان، ودلل ابن حزم على أنهم أول تارك لما عللوه بأنهم يقولون: لا تقتص من العبد للعبد في النفس، ولا في الوالد للولد في النفس، فلو كان التعليل صواباً لكان ما له نص الله تعالى عليه ورسوله صلى الله عليه وسلم بأن جعله سبباً للحكم أولى عند كل من له مسكة عقل ودين من علة يتكهنون في استخراجها بلا دليل<sup>(١)</sup>.

فإنه يرى أن النصوص لصالح العباد، ولكن كل نص يقتصر على موضوعه لا يتجاوز ولا يفكر في علة مستتبطة منه، وإن كان يجب الاعتقاد بأنه جاء لمصلحة العباد فلا تحلل ولا تحرم إلا بنص وإن كانت بعض النصوص جاءت لأسباب، فليس ذلك لتتعدى أحكامها إلى غير موضع النص ويقول في ذلك ( لا تقول إن الشرائع كلها لأسباب) بل تقول: (ليس شئ منها لسبب إلا ما نص عليه أنه لسبب، وما عدا ذلك فإنما هو شئ أراد الله تعالى الذى يفعل ما يشاء، ولا تحرم ولا تحلل، ولا نزيد ولا ننقص إلا ما قال ربنا عز وجل ونبينا صلى الله عليه وسلم، ولا نتعدى ما قالوا، ولا نترك شيئاً منه، قال تعالى: {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ}، فأخبر تعالى بالفرق بيننا وبينه، وأن أفعاله لا تجرى فيها (لم) وإذا لم يحل لنا أن نسأله عن شئ من أحكامه تعالى وأفعاله: (لم كان

<sup>١</sup> الإحكام لابن حزم - (٨ / ٥٤٧)، المرجع السابق / ص ٤٨ - ٥٠.

<sup>٢</sup> سورة الأنبياء الآية ٢٣.

هذا) فقد بطلت الأسباب جملة، وسقطت العلل البتة إلا ما نص عليه تعالى أنه فعل كذا لاجل كذا، وهذا أيضا مما لا يسأل عنه، ولا أن يقول لغيره فلا يحل لأحد أن يقول لما كان هذا السبب لهذا الحكم ولم يكن لغيره؟ لم جعل هذا سبباً دون أن يكون غيره سبباً أيضاً، لأن من قال هذا السؤال فقد عصى الله عز وجل وألحد في الدين<sup>(١)</sup>.

أما جمهور الفقهاء<sup>٢</sup> فأنهم ينظرون إلى النصوص على أنها معقولة المعنى قد جاءت المقاصد تنظم بها أحكام الدين والدنيا، ويسير الناس بمقتضاها على منهاج مستقيم فاضل، وما يفيد في معان عامة وخاصة فإذا النص بتحريم الخمر عرفوا القصد من التحريم، ويطبقون على الخمر كل ما يتحقق فيه المعنى الذي كان من أجله التحريم، وبذلك فإن الجمهور يأخذوا من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية قواعد تدرج تحتها جزئيات كثيرة، ويمكن التعرف على أحكام الحوادث التي تدرج تحتها وتطبق عليها، مما يؤدي إلى توسع الشريعة للتطبيق باستنباط هذه القواعد.

مما سبق فإن الإمام ابن حزم يخرج المسألة من التعليل إلى مجال آخر، فهو يعتبر التعليل من سؤال الله تعالى عما يفعل، تعليل إرادة الله الكونية في الأقوال والأفعال فذلك بعيد عن الموضوع إذ أن التعليل الذي يتجه إليه الفقهاء هو معرفة النصوص ومقاصدها، وتعميم ما تشتمل عليه من معاني، فهي تعرف ما يريد الله من النصوص وليس وضعاً لإرادته موضع تساؤل .

---

<sup>١</sup> الأحكام (٥٦٥/٨).

<sup>٢</sup> المحصول في علم الأصول محمد بن عمر بن الحسين الرازي/جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض/الطبعة الأولى/١٤٠٠/تحقيق طه جابر فياض العلواني (٤٩/٢). نهاية السؤل شرح منهاج الأصول للبيضاوي ، قاضى القضاة ناصر الدين عبد الحميد أبى القاسم على بن حمد البيضاوى المتوفى ٦٨٥هـ /طبعة عالم الكتب ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، المحصول في علم أصول الفقه/الإمام محمد بن عمر ابن الحسين الشهير بفخر الدين الرازي المتوفى ٦٠٦هـ/ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-الرياض المملكة العربية السعودية ، ص٥/المستصفى في علم الأصول (٦١/٢).

المبحث الثاني: الأصول التي خالف الظاهرية فيها الفقهاء  
المطلب الأول: رأى الإمام ابن حزم في القياس:

القياس هو: (تسوية فرع بأصل في حكم لعلّ جامعة بينهما<sup>١</sup>). يرى ابن حزم أنه لا يصح الأخذ بالقياس كدليل حيث أنه حدث في القرن الثاني وقول الفقهاء بأنه حكم فيما لا نص فيه بمثل الحكم فيما فيه نص أو إجماع لاتفاقهما في علة الحكم، إنما هذه قضية باطلة لوجوه: لأن الدين كله منصوص عليه، ولو وجد لما جاز أن يحكم بذلك لأنه دعوى بلا برهان، كما إنه لا علة لشيء في أحكام الله تعالى، أو دعوى العلة في ذلك قول بلا حجة. لا يقول ابن حزم في القياس بل ينفيه، ويشدد في نفيه، يقول ابن حزم: ولا يحل القول بالقياس ولا بالرأي<sup>٢</sup> .

### أدلته في نفي القياس:

استدل ابن حزم على إبطال القياس بالأدلة الآتية:

١/ من الكتاب: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ<sup>٣</sup>﴾.

وجه الاستدلال: يبينه ابن حزم بقوله: (لأن أمر الله تعالى عند التنازع بالرد إلى كتابه وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد صح فمن رد إلى قياس، أو إلى تعليل يدعيه، أو إلى رأى، فقد خالف أمر الله تعالى المعلق بالإيمان، ورد إلى غير من أمر الله بالرد إليه<sup>٤</sup>).

٢/ السنة: عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال: (أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا). فَقَالَ رَجُلٌ أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ وَلَمَّا اسْتَطَعْتُمْ - ثُمَّ قَالَ - ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ<sup>٥</sup>»).

<sup>١</sup> تيسير الوصول إلى قواعد الأصول ومعاقد الفصول/ للإمام عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي الحنبلي (٦٥٨ . ٧٣٩هـ) شرح: عبد الله بن صالح الفوزان (٣١٣/١).

<sup>٢</sup> المحلى (٥٦/١) .

<sup>٣</sup> سورة النساء الآية ٥٩.

<sup>٤</sup> المحلى (٥٦/١).

<sup>٥</sup> صحيح مسلم (١٦ كتاب الحج/٧٣ باب فرض الحج والعمرة/ح ٣٣٢١ (٤/ ١٠٢).

## وجه الاستدلال:

قال ابن حزم: (فجمع هذا الحديث جميع أحكام الدين أولها ، عن آخرها ، ففيه إن ما سكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم فلم يأمر به ، ولا نهى عنه فهو مباح ، وليس حراماً ولا فرضاً ، وإن ما أمر به فهو فرض ، وما نهى عنه فهو حرام ، وإن ما أمرنا به فإنه يلزمنا منه ما نستطيع فقط ، وأن نفعل مرة واحدة تؤدي ما ألزمنا ولا يلزمنا تكراره فإي حاجة بأحد إلى قياس أو رأى مع هذا البيان الواضح<sup>١</sup>).

٣/ إجماع الصحابة على إبطال القياس: فيقول: (فإنه لا يختلف اثنان في أن جميع الصحابة مصدقون بالقرآن وفيه ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>٢</sup>، فمن الباطل المحال أن يكون الصحابة رضى الله عنهم يعلمون هذا ويؤمنون به ثم يردون عن التنازع إلى قياس أو رأى هذا ما لا يظنه بهم ذو عقل فكيف وقد ثبت عن الصديق<sup>٣</sup> رضى الله عنه أنه قال: (أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم<sup>٤</sup>)<sup>٥</sup>.

أدلة الجمهور: استدل الجمهور<sup>٦</sup> بوجوب العمل بالقياس شرعا على ذلك بالكتاب والسنة والإجماع والمعقول:

---

<sup>١</sup> المحلى (٦٤/١).

<sup>٢</sup> سورة المائدة، الآية ٣.

<sup>٣</sup> عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب التيمي القرشي، أبو بكر: أول الخلفاء الراشدين، وأول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الرجال (٥١ ق هـ - ١٣ هـ = ٥٧٣ - ٦٣٤ م). الأعلام للزركلي (٤/ ١٠٢).

<sup>٤</sup> المصنف في الأحاديث والآثار/ابن أبي شيبه/تحقيق كمال يوسف الحوت/مكتبة الرشيد/الرياض ١٤٠٩ هـ، (كتاب فضائل القرآن/٣٣ باب من كره أن يفسر القرآن (٦/ ١٣٦) .

<sup>٥</sup> المحلى (٦٠/١-٦١).

<sup>٦</sup> إعلام الموقعين عن رب العالمين/محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ٧٥١ هـ/دراسة وتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد/مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة/١٣٨٨ هـ/١٩٦٨ م (٢٦/١)، شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول (في الأصول) للقرافي شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي المالكي/ت ٦٨٤ هـ /بحاشية جعيط/مطبعة النهضة بتونس/١٣٤٠ هـ - ١٩٢٠ م/ص ٢٨٥.

١ - **الكتاب:** قوله تعالى: {فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ}، ووجه الاستدلال من هذه الآية على وجوب العمل بالقياس، لأن القياس مجاوزة بالحكم من الأصل إلى الفرع والمجازة اعتبار، فينتج أن القياس مأمور به في الآية السابقة والأمر يدل على الوجوب فيكون واجباً لأنه اعتبار.

٢ - **السنة:** استدل الجمهور على حجية القياس بالسنة بما جاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً<sup>٢</sup> إلى اليمن فقال كيف تقضي؟ فقال أقضي بما في كتاب الله قال فإن لم يكن في كتاب الله؟ قال فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فإن لم يكن في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال أجتهد رأيي قال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>٣</sup>).

وقال الإمام الغزالي عن هذا الحديث: (هو مشهور تلقته الأمة بالقبول ولم يظهر أحد طعنا وإنكاراً<sup>٤</sup>). (وجه الاستدلال بهذا الحديث أن رسول الله أقر معاذاً على أن يجتهد إذا لم يجد نصاً يقضي به في الكتاب والسنة، والاجتهاد بذلك الجهد للوصول إلى الحكم، وهو يشمل القياس لأنه نوع من الاجتهاد والاستدلال والرسول لم يقره على نوع من الاستدلال (نوع<sup>٥</sup>). وتصويب النبي صلى الله عليه وسلم له بالعمل بالقياس يدل على أن القياس حجة شرعية يجب العمل به في الأحكام الشرعية كالكتاب والسنة.

٣ - **الإجماع:** وأما أفعال الصحابة وأقوالهم فهي ناطقة بأن القياس حجة شرعية، فقد كانوا يجتهدون في الوقائع التي لا نص فيها، ويقيسون ما لا نص فيه على ما فيه نص

<sup>١</sup> سورة الحشر الآية ٢.

<sup>٢</sup> معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الانصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن: صحابي جليل، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام (٢٠ ق هـ - ١٨ هـ = ٦٠٣ - ٦٣٩ م). الأعلام للزركلي (٧/ ٢٥٨).

<sup>٣</sup> سنن الترمذي (٣) كتاب الأحكام/باب ما جاء في القاضي كيف يقضى/ح ر ١٣٢٧ (٣/٦١٦). وقال: وليس إسناده عندي بمتصل.

<sup>٤</sup> المستصفي في علم الأصول/لأبي حامد بن محمد الغزالي المتوفى ٥٠٥ هـ/المطبوع مع مسلم الثبوت/ط المطبعة الأميرية بمصر ١٤٢٢ هـ (٢/٢٦٤).

<sup>٥</sup> علم أصول الفقه (١/٥٦).

ويعتبرون النضير بنظيره. قاسوا الخلافة على إمامة الصلاة وبايعوا أبا بكر بها وبينوا أساس القياس بقولهم: (ألا ترضون لأمر دنياكم بما رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمر دينكم<sup>(١)</sup>)<sup>(٢)</sup>، فهذا قياس للخليفة على الإمامة فى الصلاة وقد عملوا فيها بالقياس.

٤- من المعقول: فقد قالوا أن الشريعة الإسلامية خاتمة الشرائع السماوية ولهذا يجب أن تكون مصادرها وافية بأحكام الحوادث وما وجد منها وما سيوجد، ولما كانت النصوص من الكتاب والسنة متناهية لانتهاى الوحي بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم والحوادث غير متناهية، لذلك من غير المعقول أن يفى المتناهي ببيان غير المتناهي. لذلك كان لأبدا من البحث فى المعاني والعلل التى من أجلها شرعت الأحكام حتى يمكن تطبيق هذه الأحكام على ما ماثلها ما لم يثبت بنص ولا إجماع، وهذا هو القياس<sup>(٣)</sup>.

مناقشة ابن حزم: أطال ابن حزم الكلام فى مناقشة مخالفه لكن نلخصها فى النقاط التالية:

١. قال أن المقاييس تتعارض ويبطل بعضها بعضاً، ومن المحال أن يكون الشئ وضده فى التحريم والتحليل حقا معاً.
٢. عدم وجود المعيار الذى يعرف به القياس الحق من القياس الباطل.

---

<sup>١</sup> أنظر معناه فى المستدرك على الصحيحين/ محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري/ دار الكتب العلمية - بيروت/ الطبعة الأولى ، ١٤١١ - ١٩٩٠/ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا/ للحاكم كتاب معرفة الصحابة (٣/٦٦-٦٧). وقال الذهبى صحيح على شرط الشيخين (١/١٥٣) وما بعدها.

<sup>٢</sup> علم أصول الفقه (١/ ٥٧).

<sup>٣</sup> البحر المحيط فى أصول الفقه/ بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) المحقق: محمد محمد تامر/ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان/ الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م (٤/ ٢٣)، قواطع الأدلة فى الأصول/ أبى المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني/ المتوفى . ٤٨٩هـ/ دراسة وتحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي/ دار الكتب العلمية/ بيروت، لبنان/ الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩٩م (٣/ ١٠٢)، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول/ محمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية ، دمشق - كفر بطنا/ قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور/ دار الكتاب العربي/ الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م (٢/ ١٠٤) .

٣. أن قوله تعالى { فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ }<sup>١</sup>، ليس المقصود منه القياس فإن الاعتبار في كلام العرب الذى به نزل القرآن، وإنما هو التعجب.

وأجاب على من يحتج عليه بأنه دائماً يبطل القياس بالقياس، وهذا منه قول القياس فقال: (منهم مموهون بأن قالوا أنتم دأباً تبطلون القياس بالقياس، وهذا منكم رجوع إلى القياس واحتجاج به، وانتم فى ذلك بمنزلة المحتج على غيره بحجة العقل وليبطل حجة العقل، وبديل من النظر ليبطل به النظر...، ونحن لم نحتج بالقياس فى إبطال القياس، لكن أريناكم أن أصلكم الذى أثبتموه من تصحيح القياس يشهد بفساد جميع قياساتكم... قد نص الله تعالى على هذا فقال: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ} <sup>٢</sup>، فليس هذا تصحيحاً لقولهم إنهم أبناء الله وأحباؤه لكن ألزم لهم ما يفسد به قولهم <sup>٣</sup>).

**رد الجمهور:** لانسلم لكم أن الحكم بالقياس حكم بغير ما أنزل الله ، وحكم بغير ما قال الرسول صلى الله عليه وسلم لأن العمل المثبط من قول الله وقول الرسول حكم من الله ورد إليه وإلى الرسول صلى الله عليه وسلم. نسلم لكم إن الكتاب العزيز يحوى كل شئ، ولكن لا نسلم لكم إن هذا يدل على بطلان القياس وعدم حجته لأنه مما لا شك فيه أن الكتاب لم ينص على جميع الوقائع تفصيلاً، لكنه أرشد إلى القواعد العامة وبين العلل والمعاني التى يلزم فى اعتبارها جلب النفع، ودفع المفسدة<sup>٤</sup>)، وكل مناقشة الإمام ابن حزم واستدلالاته أخذ بظواهر الألفاظ ، وما أنكره من حديث ثبتت صحته لا مساع لإنكاره.

إما الذين قالوا أن رأى جائز لم يتركوا الأمر فرطاً من غير قيد يقيده، فإن رأى الذى أجازة الفقهاء ليس إلا القياس أو المصلحة، وكل أبواب رأى ترجع إلى هذين

<sup>١</sup> سورة الحشر الآية ٢.

<sup>٢</sup> سورة المائدة الآية ١٨.

<sup>٣</sup> المحلى (٥٦/١-٥٨).

<sup>٤</sup> أصول السرخسي/محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي أبو بكر/ت/٤٩٠هـ/دار الكتاب العربي/القاهرة/ ١٣٧٢هـ (١٢٩/٢).

الأمرين، وليس في الأخذ بهما إلا الرد إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد أمر الله تعالى عند الخلاف الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله فلا خروج على نص القرآن إذا أخذ بالرأى، ووجه أن القياس رد إلى الله ورسوله وأنه الحكم في المسألة بما جاء به النص في نظائرها فهو رد إلى نص معنى في القرآن أو السنة، وليس خروجاً على أحد منها، ولا يوجد من قال بالجواز فقط دون الوجوب. وإذا ثبت هذا كان القياس حجة شرعية يجب العمل بها شرعاً وهو المطلوب<sup>(١)</sup>.

ويمكن الجمع بين هذه الأدلة المتعارضة فيقال: إن القياس المذموم الذي دلت الدلائل على إنكاره هو القياس المبني على الهوى والرأى المحض، أو القياس في مقابل النص، نحو ذلك من قياس لم يستوف الشرائط اللازم توافرها في القياس الصحيح المعتبر شرعاً. أما القياس المحمود الذي يصح العمل به ودلت الدلائل على حجتيه فهو القياس الصحيح المستجمع لشرائطه.

وبالنظر إلى أدلة الفريقين ومناقشتها فإن النافين للقياس (ابن حزم) لم يقدّم دليل يصح التعويل عليه، بخلاف الأدلة التي تمسك بها الجمهور، وعلى هذا يكون ما ذهب إليه الجمهور هو الراجح، والذي يجب التمسك به. وبذلك فإن ابن حزم ينكر القياس لأنه يرى أن أحكام الدين كلها منصوح عليها. ورغم إنكار ابن حزم للقياس إلا أنه بل في بعض المسائل تجده يعلل آراؤه بالقياس (يضرب لذلك مثلاً وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم (كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ)<sup>(٢)</sup>، فإن هاتين مقدمتين ينتج منهما حتماً أن كل مسكر حرام، ولا يعتبر كل مسكر غير المنصوص عليه من أنواع الخمر، وهو بذلك أخذ بالقياس وإن لم يصرح به، ففي ذلك أنكر عليه بعض الفقهاء مسلكه في نفي القياس.

**المطلب الثاني: رأى الإمام ابن حزم في الاستحسان:**

---

<sup>١</sup> شرح السرخسي (٣/ ١٣). تهذيب شرح الأسنوى على المنهاج/ للدكتور شعبان محمد اسماعيل (٣/ ١٦-١٧)، شرح تنقيح الأصول/ للقرافي/ ص ٢٨٥.

<sup>٢</sup> صحيح مسلم (٣٧) كتاب الأشربة/ ٧ باب بَيَانِ أَنَّ كُلَّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ وَأَنَّ كُلَّ خَمْرٍ حَرَامٌ/ ح ٥٣٣٦ (٦ / ١٠٠).

الإستحسان (هو عدول المجتهد عن مقتضى قياس جلي إلى مقتضى قياس خفي، أو عن حكم كلي إلى حكم استثنائي لدليل انقذح في عقله رجح لديه هذا العدول<sup>١</sup>). (هذا الأصل أخذ به ونسب القول به إلى أبي حنيفة، وحكى عنه أصحابه، ونسبه أمام الحرمين إلى مالك، قال به الحنابلة<sup>٢</sup>) ، وقد أنكره ابن حزم عليهم لأنه في اعتقاده إتباع للهوى وقول بلا برهان، وقد رد عليهم ابن حزم بقوله: (ومن المحال أن يكون الحق فيما استحسنا دون برهان لأنه لو كان ذلك لكان الله تعالى يكلفنا ما لا نطيق ولبطلت الحقائق ولتضادت الدلائل وتعارضت البراهين ولكان تعالى يأمرنا بالاختلاف الذي قد نهانا عنه وهذا محال لأنه لا يجوز أصلاً أن يتفق استحسان العلماء كلهم على قول واحد على اختلاف همهم وطبائعهم وأغراضهم فطائفة طبعها الشدة وطائفة طبعها اللين وطائفة طبعها التصميم وطائفة طبعها الاحتياط ولا سبيل إلى الاتفاق على استحسان شيء واحد مع هذه الدواعي والخواطر المهيجة واختلافها واختلاف نتائجها وموجباتها، لو كان الدين ناقصاً فأما وهو تام لا مزيد فيه مبين كله منصوص عليه أو مجمع عليه فلا معنى لمن استحسناً شيئاً منه أو من غيره ولا لمن استتبع أيضاً شيئاً منه أو من غيره<sup>٣</sup>).

### أدلة القائلين به:

١. إن في الأخذ به ترك العسر إلى اليسر وهو أصل في الدين قال تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}، وقوله تعالى: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}، وفي الحديث الشريف (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ<sup>٤</sup>).

<sup>١</sup> علم أصول الفقه (١/٧٩).

<sup>٢</sup> إرشاد الفحول (٢/١٨٢).

<sup>٣</sup> الإحكام لابن حزم (٦/١٩٣).

<sup>٤</sup> سورة البقرة الآية ١٨٥.

<sup>٥</sup> سورة الحج الآية ٧٨.

<sup>٦</sup> سنن ابن ماجه/ محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني/ دار الفكر - بيروت/ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (١٣) كتاب الأحكام/ ١٧ باب من بنى في حقه ما يضار بجاره/ ح ر ٢٣٤٠ (٢/٧٨٤). وفي الزوائد في حديث عبادة هذا إسناد رجاله ثقات منقطع.

٢. إن ثبوته كان بالأدلة المتفق عليها بأنها حجة، لأنه إما أن يثبت بالأثر كالسلم والإجارة، وإما بالاجماع كالإستصناع، إما للضرورة كطهارة الحياض والآبار بعد تتجسها، وإما بالقياس الخفي، وإما بالعرف كرد الإيمان للعرف، وإما بالمصلحة كتضمين الأجير<sup>(١)</sup>. (والدين جاء لمصالح الناس فى الدنيا والآخرة فيكون الأخذ بالاستحسان وترك القياس فى هذه الأحوال هو لب الإسلام وصميم فقهه<sup>(٢)</sup> ) .

### ترجيح:

أساس الاختلاف أن النافين قيدوا أنفسهم فى كل مسألة يفتى فيها بالنص ، فإن لم يكن نص مبين ،فالحمل على النص وذلك بالقياس، أما المؤيدين فقد نظروا فى الشريعة نظرة كلية فوجدوها تتجه فى لبها وفى مقاصدها إلى مصالح الناس ودفع المضار، فإن كانت مصلحة مؤكدة من غير ضرر يلحق بأحد، فهناك الطلب المؤكد وإن كان هناك ضرر مؤكد فهناك المنع المؤكد، وهذه النظرة الكلية تضافرت عليها طائفة من النصوص مثل قوله تعالى: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ<sup>(٣)</sup>}، ( لا ضرر ولا ضرار<sup>(٤)</sup>). فكل أمر قرب مصلحة أو دفع مضرة مطلوب من الشارع سواء نص عليه أم لم ينص، لأنه فى النص العام وأن لم يوجد النص الخاص.

### المطلب الثالث: رأى الامام ابن حزم فى التقليد:

والتقليد:(فعبارة عن العمل بقول الغير من غير حجة ملزمة وهو مأخوذ من تقليده بالقلادة وجعلها فى عنقه وذلك كالأخذ بقول العامي وأخذ المجتهد بقول من هو مثله .وهو أن يفتى الفتوى لمسألة لأن الإمام الفلاني أفتى بها<sup>(٥)</sup>).

١ كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام/البزدي البخاري علاء الدين بن أحمد البخاري/ت/٧٣٠هـ/دار الكتاب العربي/بيروت/طبعة جديدة بالأوفست/١٣٩٤هـ-١٩٧٤م (١٠٩/٧).

٢ مالك/الإمام محمد بن محمد أبوزهرة / دار الفكر العربي/ص/٣٥٧.

٣ سورة الحج الآية ٧٨.

٤ سنن ابن ماجه(١٣) كتاب الأحكام/١٧ باب من بنى فى حقه ما يضار بجاره/ح ر ٢٣٤٠ (٢/٧٨٤). وفى الزوائد فى حديث عبادة هذا إسناد رجاله ثقات منقطع.

٥ الأحكام فى أصول الإحكام للأمدى (٢٢/٣).

لا يأخذ ابن حزم بالتقليد ولا يجيز أن يقلد أحداً، ويقول في ذلك: (ولا يحل لأحد أن يقلد أحداً لاحقاً ولا ميتاً، وعلى كل أحد الاجتهاد وحسب طاقته، فمن سأل عن دينه فإنما يريد معرفة ما ألزمه الله عز وجل في هذا الدين، ففرض عليه إن كان أجهل البرية أن يسأل عن أعلم أهل موضعه بالدين الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا أفتاه قال له هكذا قال الله عز وجل ورسوله، فإن قال له نعم أخذ بذلك وعمل به أبداً، وإن قال له هذا رأى أو هذا قياس أو هذا قول فلان وذكر له صاحباً أو تابعاً أو فقيهاً قديماً أو حديثاً أو سكت أو أشهده أو قال له لا يدري، فلا يحل له أن يأخذ بقوله ولكنه يسأل غيره<sup>(١)</sup>).

**أدلته:** قال ابن حزم: (برهان ذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا<sup>(٢)</sup>}).

**وجه الاستدلال:** يقول ابن حزم ( فلم يأمرنا عز وجل قط بطاعة بعض أولى الأمر فمن قلد عالماً أو جماعة علماء فلم يطع الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا أولى الأمر وإذا لم يرد من ذكرنا فقد خالف أمر الله عز وجل ولم يأمر الله عز وجل قط بطاعة بعض أولى الأمر دون بعض<sup>(٣)</sup>).

قال جمهور العلماء: أن التقليد واجب على العامة ومن في حكمهم (فإن العامة لا بد لها من تقليد علمائها عند النازلة تنزل بها، لأنها لا تتبين موقع الحجة ولا تصل بعدم الفهم إلى علم ذلك لأن العلم درجات لا سبيل منها إلى أعلاها إلا بنيل أسفلها وهذا هو الحائل بين العامة وبين طلب الحجة<sup>(٤)</sup>)، ثم قال: (ولم تختلف العلماء أن العامة عليها تقليد

<sup>١</sup> المحلى (٦٦/١)، مسألة رقم (١٠٣).

<sup>٢</sup> سورة النساء الآية ٥٩.

<sup>٣</sup> المحلى (٦٦/١).

<sup>٤</sup> جامع بيان العلم وفضله/يوسف بن عبد البر النمري(٣٦٨-٤٦٣) الناشر دار الكتب العلمية/١٣٩٨هـ/بيروت (١١٤/٢).

علمائها<sup>(١)</sup>، (العامي يجب عليه الاستفتاء واتباع العلماء<sup>(٢)</sup>)، (وأما التقليد في الفروع فهو جائز إجماعاً، فلهذا جاز التقليد فيها بل وجب على العامي ذلك<sup>(٣)</sup>)، (أن يكون مقلداً صرفاً، خلياً من العلم الحاكم جملة، فلا بد له من قائد يقوده، وحاكم يحكم عليه، وعالم يقتدى به، ومعلوم أنه لا يقتدى به إلا من حيث هو عالم بالعلم الحاكم<sup>(٤)</sup>)، (العامي ومن ليس له أهلية الاجتهاد يلزمه اتباع قول المجتهدين العامي ومن ليس له أهلية الاجتهاد وإن كان محصلاً لبعض العلوم المعتمدة في الاجتهاد يلزمه اتباع قول المجتهدين والأخذ بفتواه عند المحققين من الأصوليين<sup>(٥)</sup>).

مما سبق فإن ابن حزم خالف الجمهور في التقليد، والراجح هو رأي الجمهور لأن العامة لا بد لها من تقليد علمائها.

#### المطلب الرابع: رأي الامام ابن حزم في سد الذرائع:

سد الذرائع: (الوسيلة الموصلة إلى الممنوع المشتمل على مفسدة، أو المشروع المشتمل على مصلحة<sup>(٦)</sup>) (وكان مالك رحمه الله شديد المبالغة في سد الذرائع<sup>(٧)</sup>) (فإن من الذرائع ما هو معتبر بالإجماع، كالمنع من حفر الآبار في طريق المسلمين، وإلقاء السم في طعامهم، وسب الأصنام عند من يعلم من حاله أنه يسب الله، ومنها ما هو ملغى إجماعاً، كزراعة العنب، فإنها لا تمنع خشية الخمر، وإن كانت وسيلة إلى المحرم<sup>(٨)</sup>)، التمسك بسد

<sup>١</sup> جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١٥).

<sup>٢</sup> المستصفى (١/ ٣٧٢).

<sup>٣</sup> روضة الناظر وجنة المناظر/ عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد/ جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض/ ط٢، ١٣٩٩/ تحقيق: د. عبد العزيز عبد الرحمن السعيد (١/ ٣٨٣).

<sup>٤</sup> مختصر كتاب الاعتصام/ أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي/ ت ٧٩٠هـ/ اختصره وهذبته: علوي بن عبد القادر السقاف (١/ ١٠٢).

<sup>٥</sup> الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٤/ ٢٣٤).

<sup>٦</sup> تيسير علم أصول الفقه / عبد الله بن يوسف الجديع (٢/ ٥٨).

<sup>٧</sup> الاعتصام (١/ ٢١١).

<sup>٨</sup> إرشاد الفحول (٢/ ١٩٤).

الذرائع وحمائيتها هو مذهب مالك وأصحابه، وأحمد بن حنبل وفى رواية عنه قد دل على هذا الأصل الكتاب والسنة قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، ينكر ابن حزم الاجتهاد عن طريق سد الذرائع لأن ذلك النوع باب من أبواب الاستدلال بالرأي، ومن ثم الأدلة محصورة في الكتاب والسنة والإجماع ولا مجال للأخذ بالذرائع<sup>(٢)</sup>.

**وجه الاستدلال:** (أن الذرائع حرمتها الشارع وإن لم يقصد بها المحرم خشية إفضاؤها إلى المحرم فإذا قصد بالشئ نفس المحرم كان أولى بالتحريم من الذرائع، إن منع الله من سب إلهة المشركين مخافة مقابلتهم بمثل ذلك والآية دليل على وجوب الحكم بسد الذرائع، إذا أدى الى ضرر يكون فى دين الله وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>، حرم سب الآلهة مع أنه عبادة لكونه ذريعة إلى سبهم لله سبحانه وتعالى لأن مصلحة تركهم سب الله سبحانه راجحة على مصلحة سبنا لآلهتهم<sup>(٤)</sup>).

**إما السنة:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يُلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ)، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يُلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: (يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ

<sup>١</sup> سورة الأنعام الآية ١٠٨.

<sup>٢</sup> ابن حزم حياته وعصره / ص ٤٧٢.

<sup>٣</sup> سورة البقرة الآية ١٠٤.

<sup>٤</sup> الفتاوى الكبرى/أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس/دار المعرفة - بيروت/ط الأولى، ١٣٨٦/ تحقيق: حسنين محمد مخلوف (٦/ ١٧٢).

أُمَّهُ<sup>١</sup>)، وقال القرافي<sup>٢</sup>: (فمتى كان الفعل السالم عن المفسدة وسيلةً إلى المفسدة منعنا من ذلك الفعل، وهو مذهب مالك رحمه الله<sup>٣</sup>).

إما الحنابلة قد اعتمدوا في أصول فتواهم على أصل سد الذرائع تابعين لإمامهم أحمد بن حنبل وقال الإمام ابن القيم<sup>٤</sup>: (الذرائع نوعان أحدهما ان تكون مصلحة الفعل أرجح من مفسدته والثاني ان تكون مفسدته راجحة على مصلحته، فالشريعة جاءت بإباحة هذا القسم أو استحبابه أو إيجابه بحسب درجات في المصلحة وجاءت بالمنع من القسم الاول كراهة أو تحريماً بحسب درجاته في المفسدة<sup>٥</sup>). .

ومن هذا يتضح إن الإمامين مالك وأحمد بن حنبل قد توسعا في الأخذ بمبدأ سد الذرائع وقد تبعهما في ذلك تلاميذهما.

اتفق العلماء على سد الذرائع إذا كانت تؤدي إلى المحذور، وإن كان بعض العلماء لا يرى ذلك من الذرائع بل من الوسائل فهم يفرقون بين الذرائع وبين الوسائل، فإن السبكي<sup>٦</sup> من علماء الشافعية يصرح بأن هذا النوع ليس من الذرائع في حكايته عن أصل القول بسد الذرائع، ويبين إن الإمام الشافعي لا يقول بشي منها بل يقول بتحريم الوسائل المستلزمة للمحذور، فهو يقول: (وَأَمَّا قَاعِدَةُ سَدِّ الذَّرَائِعِ فَقَدْ أُشْتُهِرَتْ عِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ، وَزَعَمَ الْقَرَفِيُّ أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَقُولُ بِهَا وَسَنُوضِّحُ لَكَ أَنَّ الشَّافِعِيَّ لَا يَقُولُ بِشَيْءٍ مِنْهَا وَأَنَّ مَا ذُكِرَ أَنَّ الْأُمَّةَ

<sup>١</sup> صحيح البخاري (٨١ كتاب الأدب/باب لا يسب الرجل والديه/ح ٥٦٢٨ (٥/ ٢٢٢٨).

<sup>٢</sup> (٩٣٩ - ١٠٠٨ هـ = ١٥٣٣ - ١٦٠٠ م) محمد بن يحيى بن عمر بن أحمد بن يونس، بدر الدين القرافي: فقيه مالكي، لغوى، من أهل مصر. الأعلام للزركلي (٧/ ١٤١).

<sup>٣</sup> شرح تنقيح الفصول (٢/ ١٩٤).

<sup>٤</sup> هو العلامة شمس الدين محمد بن بكر بن أيوب، ولد ٦٩١، وبرع في علوم متعددة. البداية والنهاية (١٤/ ٢٣٤).

<sup>٥</sup> إعلام الموقعين عن رب العالمين (٣/ ١٦٥).

<sup>٦</sup> هو عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن نصر تاج الدين السبكي الشافعي، الفقيه، الأصولي، اللغوي. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لشهاب/الدين أحمد بن حجر العسقلاني/المتوفى ٨٥٢هـ/تحقيق محمد سيد جاد الحق/دار الكتب الحديثة (٣/ ٣٩).

أَجْمَعَتْ عَلَيْهِ لَيْسَ مِنْ مُسَمًّى سَدِّ الذَّرَائِعِ فِي شَيْءٍ نَعَمْ حَاوَلَ ابْنُ الرَّفْعَةِ<sup>١</sup> تَخْرِيجَ قَوْلِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بَابِ إِحْيَاءِ الْمَوَاتِ مِنَ الْأُمِّ عِنْدَ النَّهْيِ عَنْ مَنَعِ الْمَاءِ لِيَمْنَعَ بِهِ الْكَلًّا أَنَّ مَا كَانَ ذَرْيَةً إِلَى مَنَعٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَمْ يَحِلَّ وَكَذَا مَا كَانَ ذَرْيَةً إِلَى إِحْلَالٍ مَا حَرَّمَ اللَّهُ. فَقَالَ فِي هَذَا مَا يُثَبِّتُ أَنَّ الذَّرَائِعَ إِلَى الْحَرَامِ وَالْحَلَالِ تُشَبِّهُ مَعَانِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ. وَنَازَعَهُ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْوَالِدُ وَقَالَ إِنَّمَا أَرَادَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَخْرِيمَ الْوَسَائِلِ لَا سَدَّ الذَّرَائِعِ وَالْوَسَائِلِ تَسْتَلْزِمُ الْمُتَوَسَّلَ إِلَيْهِ<sup>٢</sup>، فِي الْأُمِّ: (إِنْ مَا كَانَ ذَرْيَةً إِلَى مَنَعٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ وَلَمْ يَحِلْ كَذَلِكَ مَا كَانَ ذَرْيَةً إِلَى إِحْلَالٍ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَبِهَذَا يَقُولُ الشَّافِعِيُّ<sup>٣</sup> فِي هَذَا مَا يَثْبِتُ إِنْ الذَّرَائِعَ إِلَى الْحَرَامِ وَالْحَلَالِ تُشَبِّهُ مَعَانِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ). وَتَعَقَّبَ الْإِمَامُ السَّبْكَيُّ هَذَا التَّخْرِيجَ وَنَازَعَ ابْنَ الرَّفْعَةِ وَقَالَ (إِنَّمَا أَرَادَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَحْرِيمَ الْوَسَائِلِ لَا سَدَّ الذَّرَائِعِ، وَقَالَ نَحْنُ لَا نَنَازِعُ فِيهَا يَسْتَلْزِمُ مِنَ الْوَسَائِلِ، وَلِذَلِكَ نَقُولُ مِنْ حَبَسَ شَخْصًا وَمَنَعَهُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فَهُوَ قَاتِلٌ لَهُ، وَمَا هَذَا مِنْ سَدِّ الذَّرَائِعِ فِي شَيْءٍ<sup>٤</sup>)، وَالَّذِي ذَكَرَهُ الزَّرْكَشِيُّ<sup>٥</sup> مِنْ أَنَّ بَعْضَ الشَّافِعِيَّةِ نَسَبَ الْقَوْلَ بِسَدِّ الذَّرَائِعِ لِلْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ وَنَازَعَهُ فِيهِ بَعْضُ الْمَتَأَخِّرِينَ وَالَّذِي يَقْصِدُهُ مِنْ هَذِهِ النِّسْبَةِ هُوَ تَخْرِيجُ ابْنِ الرَّفْعَةِ الشَّافِعِي فِي الْأُمِّ، أَمَّا

<sup>١</sup> أحمد بن محمد بن علي الأنصاري، أبو العباس، نجم الدين، المعروف بابن الرفعة: فقيه شافعي، من فضلاء مصر (٧١٠ هـ = ١٢٤٧ - ١٣١٠ م). الأعلام للزركلي (١/ ٢٢٢).

<sup>٢</sup> حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع (٥/ ٣٨٥).

<sup>٣</sup> محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هشام بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب، الإمام عالم العصر ناصر الحديث فقيه. سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥).

<sup>٤</sup> الأم/ الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤ هـ) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/ ط ٢/ ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م (٤/ ٥١).

<sup>٥</sup> جامع الجوامع مع حاشية العطار/ للإمام تاج الدين عبد الوهاب بن السبكي/ ط ٢/ ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م/ مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر (٢/ ٣٩٩).

<sup>٦</sup> هو محمد بن بهادر بن عبد الله المصري الزركشي بدر الدين فقيه، أصولي، محدث، من مصنفاته البحر المحيط في أصول الفقه مات بالقاهرة ٧٩٤ هـ/ أنظر ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٣٩٧)، شذرات الذهب (٦/ ٣٣٥).

منازعة بعض المتأخرين له هو تعقيب الإمام السبكي لقول ابن الرفعة أو بيان مذهب الشافعي، فيما يدل عليه النص في أنه يقصد الوسائل وليس الذرائع<sup>١</sup> .

وبهذا يتبين إن مذهب الإمام الشافعي يقول بسد الذرائع، وإن كان يسميه الوسائل فهو اختلاف في التسمية فقط، واختار هذا النهج ابن حزم الظاهري حيث قال: (ولا يحل بيع شيء ممن يوقن أنه يعصى الله به أو فيه وهو مفسوخ أبداً كبيع كل شيء ينبذ أو يعصر ممن يوقن أنه يعمل خمرًا، وكبيع الدراهم الرديئة ممن يوقن أنه يدلس بها، وكبيع الغلمان ممن يوقن أنه يفسق بهم أو يخصيهم...، وهكذا في كل شيء كقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾<sup>٢</sup> والبيع التي ذكرناها تعاون ظاهر على الإثم والعدوان وفسخها تعاون على البر والتقوى، فإن لم يوقن بشيء من ذلك فالبيع صحيح لأنه لم يعن على إثم فإن عصى المشتري الله تعالى بعد ذلك فعليه<sup>٣</sup>)، فالإمام ابن حزم يمنع من هذا التصرف ما دام وجد اليقين ولا يمنع أن انتفى اليقين إلا أنه لم يسم هذا المنع سد الذرائع مع أنه ذريعة إلى مفسدة، وإنما جعله من باب التعاون على الإثم والعدوان .

وقد أوضح في كثير من الأمثلة على الأمر الذي يفعله المأمور إن كان موقن فيه بالحرمة، فإنه حينئذ يكون حراماً عليه فعله، وهذا بلا شك مواقف لما قاله الشاطبي<sup>٤</sup> إذ قال: (إن الشريعة مبنية على الاحتياط والأخذ بالحزم والتحرز مما عسى أن يكون طريقاً إلى مفسدة<sup>٥</sup>) .

<sup>١</sup> البحر المحيط في علم الأصول (٣٨٥/٤).

<sup>٢</sup> سورة المائدة الآية ٢.

<sup>٣</sup> المحلى (٢٩/٩-٣٠).

<sup>٤</sup> إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، أصولي حافظ. من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية، توفي سنة ٧٩٠ هـ. الأوهام الواقعة في أسماء العلماء والأعلام/إعداد: مصطفى بن قحطان الحبيب/قام بنشره: أبو مهند النجدي (١٠ / ١٥).

<sup>٥</sup> الموافقات/إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي/دراسة وتحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان/ دار ابن عفان/الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧ م (٢٥٢/٢).

ومن هذا يثبت إن موقف ابن حزم مواقف للإمام الشافعى.فهو يقول بتحريم الوسائل المؤدية إلى ما حرم الله، وابن حزم يحرم ذلك أيضا إلا أنه يجعله من باب ( التعاون على الإثم والعدوان). وهكذا اختلفت العبارات وتلاقت فى المعنى .

(فالدراسة الفاحصة والعميقة لكتاب ( الحيل والمخارج للخصاف<sup>١</sup>) وكتاب (المخارج فى الحيل<sup>٢</sup>) تنتهي بأن حيل أئمة المذهب الحنفى لم تكن كما يظن الكثير هدماً لمقاصد الشارع فى التحليل والتحريم، وتقويتا للغاية السامية التى يرمى إليها الشارع فيما يشرع من أحكام وما يكلف من تكليفات، كما أنها لم تكن حسماً للوسائل لو كانت مفضية إلى الحرام. وإنما هى تثبت الطريقة المثلى للوصول إلى الحقوق الشرعية من غير أن تقف القيود والشروط فى سبيلها<sup>٣</sup>).

وبعد هذا العرض لأراء الفقهاء فى سد الذرائع المؤدية إلى المفسدة قطعاً إن جميعهم من المالكية، والحنابلة والشافعية والأحناف والظاهرية قد أخذوا بمبدأ قاعدة سد الذرائع.

ومما تقدم يظهر أن ابن حزم حصر أدلته فى الأدلة النصية من الكتاب والسنة وفى أخذه بالإجماع وطرح ما عدا ذلك من أدلة، وقد أنكر على الأئمة الأربعة وباقي الفقهاء قولهم بالأدلة الأخرى غير النصية كالقياس والاستحسان، ومرد القول فى ذلك أن هذا هو سبب اختلافه مع الفقهاء .

أنه يمكن القول أن لكل فريق رأيه وحجته فى الاستدلال، إلا الرأى الراجح هو رأى جمهور الفقهاء لأن الإكتفاء بالأدلة النصية وحدها لا يكفي حيث أن الأدلة الأخرى غير النصية إنما مرجعها لنفس الأدلة النصية فيما لم يرد به نص قطعي، ومعلوم أن النص العام أو الظني يفتح الباب للاستدلال.

---

<sup>١</sup> الحيل والمخارج/لأحمد بن عمر بن مهير أبى بكر الخصاف من أشهر فقهاء الأحناف/هيئة الكتاب المصرى قاعة الإطلاع/طبع بمصر القاهرة/١٣١٤هـ.

<sup>٢</sup> المخارج فى الحيل/لمحمد بن الحسن الشيبانى/ت١٨٩هـ/من أبرز أصحاب أبو حنيفة/هيئة الكتاب المصرى قاعة الإطلاع.

<sup>٣</sup> مقدمة بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع/لعلاء الدين إبنى بكر بن مسعود الكاسانى الحنفى المتوفى سنة ٥٨٧هـ، قام بنشره زكريا على يوسف، مطبعة العاصمة شارع الفكى بالقاهرة، ١٣٦٨هـ(١/٣٧).



## المبحث الأول: مؤلفات الإمام ابن حزم في علوم القرآن وعلوم الحديث والتاريخ والطب والعقلية والفكرية واللغة العربية

(لم تكن دراسة ابن حزم إلا من خلال تلاميذ الإمام الشافعي الذين احتك بهم في مدارس قرطبة، وقد كان أول فقه اتجه لدراسته هو الفقه المالكي، إلا أنه لم يكن مالكي المذهب، حيث أنه كما ذكر عكف على مسائله<sup>(١)</sup>، ثم انتقل بعد ذلك إلى دراسة الفقه الشافعي فمال إلى آراء الشافعي. غير أنه لم يستمر على شافعيته وإنما تحول عنهم، كما تحول قبله شيخه داود الظاهري. ويرجع سبب تعلقه بالمذهب الشافعي إلى شدة تمسكه بالنصوص واعتباره الفقه نصاً، ولكن لم يلبث إلا قليلاً في المذهب الشافعي لما رآه من قول المذهب الأخذ بالقياس<sup>(٢)</sup>).

وللفقيه ابن حزم مؤلفات كثيرة في شتى فروع الفقه وأصوله وقد كانت الكتابة عند ابن حزم هي أهم وسيلة للتعبير عن آرائه وعلمه، فقد كان محاصراً ومحارباً من الفقهاء، لأنه بسط لسانه فيهم بسطاً منكراً، فنفر طلاب العلم عنه، لهذا وجد السعة في التأليف والتحقيق، فألف ما لم يؤلفه عالم في زمانه.

### المطلب الأول: مؤلفات الإمام ابن حزم:

قال الحافظ الذهبي: (لابن حزم مصنفات جليلة أكبرها:

١. كتاب المحلى في شرح المجلى بالحجج والآثار (ثمانى مجلدات)<sup>(٣)</sup>.

٢. كتاب حجة الوداع، مائة وعشرون ورقة<sup>(٤)</sup>.

---

<sup>١</sup> معجم الأدباء (١٢ / ٢٥١) .

<sup>٢</sup> معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية / تأليف عمر رضا كحالة / مؤسسة الرسالة (٣ / ١٦).

<sup>٣</sup> تحقيق أحمد شاكر، القاهرة، إدارة الطباعة المنيرة، النهضة ١٣٤٧-١٩٢٨م، (٦/٧)، تحقيق عبد الرحمن الجزيرى - تحقيق محمد منير الدمشقى، ١٣٥٠هـ/١٩٣١م (٨/١١). تصحيح حسن زيدان طلبة، القاهرة، مكتبة الجمهورية العربية، ١٩٧٢م، بيروت، المكتب التجارى للطباعة والنشر، د.ت بالأوقست عن الطبعة الميزية، ٤٠، المعجم الشامل للتراث العربى المطبوع، جمع وإعداد وتحرير، د. محمد عيسى صالحية، القاهرة، معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ط ١٩٩٣م، (٢ / ١٨٢ - ١٩٥)، مخطوطة لكتاب بدار الكتب المصرية، برقم ١٤ بذات العنوان.

<sup>٤</sup> تحقيق ممدوح حقى، دمشق، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٦م، بيروت دار النهضة، ط ٣، ١٩٦٦م، نماذج مقصورة فى المخطوط، المجمع الشامل للتراث العربى المطبوع (٢ / ١٨٢ - ١٩٥).

٣.رسالة التلخيص والتخليص في المسائل النظرية وفروعها التي لا نص عليها في الكتاب والسنة<sup>١</sup>.

٤.كتاب الإحكام فى أصول الأحكام، مجلدان<sup>٢</sup>.

٥.كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل<sup>٣</sup>.

٦.كتاب التقريب لحد المنطق بالألفاظ العامية، مجلد<sup>٤</sup>.

٧. كتاب نقط العروس ( فى تاريخ الخلفاء )<sup>٥</sup>.

٨. رسالة (الإمامة<sup>٦</sup>).

٩. رسالة فى فضل الأندلس وذكر رجالها<sup>٧</sup>.

١٠.كتاب مراتب الإجماع<sup>٨</sup>.

١١.ملخص إبطال القياس والرأى والاستحسان والتقليد والتعليل<sup>٩</sup>.

- 
- ١ تحقيق إحسان عباس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١م، المرجع السابق ص ١٨٢ وما بعدها.
- ٢ القاهرة :مكتبة الخانجي، ١٣٤٨هـ/١٩٢٦م ٤مجلدات.تحقيق احمد محمد شاكر، القاهرة /دار الطباعة المنيرية ١٩٤٧م.، تحقيق زكريا علي يوسف /القاهرة /١٩٧٠م مجلدات.
- ٣ نشر على الفقيه أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي وأخيه، القاهرة، المطبعة الأدبية، ١٣١٧هـ، ١٩٠٣م، ج٢: ١٣٢٠-١٩٠٦م، ج٤/١٣٢١هـ-١٩٠٧م، القاهرة مطبعة التمدن، ج٥/١٣٢١هـ-١٩٠٧م، القاهرة، مطبعة الموسوعات.بيروت:مكتبة خياط، د.ت، بالأوقست عن السابقة، بغداد:مكتبة المثنى، بالأوقست، ١٩٦٤م، عن السابقة، تحقيق محمد ابراهيم نصر وعبد الرحمن عميدة، جدة، مكتبة عكاظ للنشر والتوزيع ، مطبعة الناشر، ١٤٠٢-١٩٨٢م، ج٥.
- ٤ التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، تحقيق إحسان عباس وناصر الدين الأسد/ راجعه أحمد محمد شاكر/القاهرة:دار المعارف بمصر/مطابع الناشر . د . ت
- ٥ لعناية سيبولد، مجلة مركز الدراسات التاريخية، غرناطة، ١٩١١م، تحقيق شوقي ضيف، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد ١٣، العدد ٢، ١٩٥١م.
- ٦ تحقيق إحسان عباس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١م
- ٧ تحقيق إحسان عباس، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ٨ تصحيح حسام الدين المقدسى ، القاهرة مطبعة القدس ، ومطبعة السعادة ، ١٣٥٧م - ١٩٣٨م، بيروت : دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٨م، بيروت: دار الكتب العلمية ، د.ت. ، بالأوقست عن طبعة القدس.
- ٩ تحقيق سعد الأفغانى، دمشق، جامعة دمشق، مطبعة الجامعة، ١٣٧٩هـ-١٩٦٠م، بيروت، دار الفكر، ط ٢/١٩٦٩م.

١٢. مداواة النفوس<sup>١</sup> .
١٣. الأخلاق والسير<sup>٢</sup> .
١٤. أسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم<sup>٣</sup> .
١٥. أصول الفقه<sup>٤</sup> .
١٦. اصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم على مراتبهم فى كثرة الفتيا<sup>٥</sup> .
١٧. أسماء الصحابة والرواة وما لكل واحد من العدد<sup>٦</sup> .
١٨. الأصول والفروع<sup>٧</sup> .
١٩. ألم الموت وإبطاله<sup>٨</sup> .

- 
- ١ تحقيق عادل أبو المعاطي، القاهرة، دار المشرق العربى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
  - ٢ (رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل): أ- تحقيق إحسان رشد عباس / القاهرة/ مكتبة الخانجي/ بغداد مكتبة المثنى/ مطبعة دار الهنا/ ١٩٥٠- وقعت في كتاب تحت عنوان (رسائل ابن حزم). ب- القاهرة: على نفقة محمد أدهم الكتبي. د.ت- تحقيق ندى توميش/ بيروت: اليونسكو اللجنة الدولية لترجمة الروائع ١٩٦١م- القاهرة: سلسلة الثقافة الإسلامية (محمد عبد الله السمان) دار الثقافة العربية للطباعة ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م/ تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان/ المدينة المنورة: المكتبة السلفية ١٩٧٠م/ بيروت: دار الافاق الجديدة/ ط ١٩٧٨م- تحقيق إيفا رياض/ السويد/ إبسال: منشورات جامعة إبسال/ سنة ١٩٨٠م- تحقيق إحسان عباس بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م وقعت في المجلد الأول من رسائل ابن حزم - بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
  - ٣ تحقيق إحسان عباس و ناصر الدين الأسد / وراجعه أحمد محمد شاکر / القاهرة : دار المعارف بمصر / مطابع الناشر .د.ت ٢٩ - كوجرا نولة: بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨١م باكستان.
  - ٤ دمشق مطبعة الفيحاء ١٩١٢م
  - ٥ تحقيق إحسان عباس و ناصر الدين الأسد / وراجعه أحمد محمد شاکر/ القاهرة: دار المعارف بمصر / مطابع الناشر - باكستان /كوجوا نولة : دار إحياء السنة.
  - ٦ تحقيق إحسان عباس و ناصر الدين الأسد/ وراجعه أحمد محمد شاکر/ القاهرة: دار المعارف بمصر/ مطابع الناشر.د.ت ٤١ - باكستان /كوجوا نولة : دار إحياء السنة د. ت.
  - ٧ تحقيق محمد عاطف العراقي وسهير فضل الله ، وإبراهيم هلال القاهرة / دار النهضة العربية/ مطبعة حسان / ١٩٧٨م / كتبها سمير أبو وافية.
  - ٨ تحقيق إحسان رشيد عباس/ القاهرة/ مكتبة الخانجي/ بغداد مكتبة المثنى/ مطبعة دار الهنا ١٩٥٠م. وقعت في رسائل ابن حزم.

٢٠. الألوان<sup>١</sup> .
٢١. أمهات الخلفاء<sup>٢</sup> .
٢٢. جمل فتوح الاسلام<sup>٣</sup> .
٢٣. جمةرة أنساب العرب<sup>٤</sup> .
٢٤. جواب عن رسالتين فيهما سؤال وتعنيف<sup>٥</sup> .
٢٥. جوامع السيرة : وخمس رسائل أخرى لابن حزم<sup>٦</sup> .
٢٦. كتاب حقيقة الطب<sup>٧</sup> .
٢٧. خلاصة فى أصول الإسلام وتاريخه<sup>٨</sup> .
٢٨. الخلفاء بعده عليه الصلاة والسلام<sup>٩</sup> .
٢٩. ديوان شعر ابن حزم<sup>١٠</sup> .
٢٦. الرد على ابن التغلبة اليهودى<sup>١</sup> .

- 
- ١ تحقيق عدد من الباحثين/الرياض:النادي الأدبي الثقافي/مطابع الوطن الفنية/١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
  - ٢ تحقيق صلاح الدين المنجد/مجلة المجتمع العلمي العربي/دمشق/مج٣/ج٢/رمضان ١٣٧٨هـ/ نيسان ١٩٥٩م/تحقيق إحسان عباس/بيروت/المؤسسة العربية للدراسات والنشر/١٩٨١م. وقعت في المجلد الثاني من رسائل ابن حزم. تحقيق صلاح الدين المنجد بيروت/ دار الكتاب الجديد/ط الثالثة/١٩٨٠م.
  - ٣ تحقيق إحسان عباس وناصر الدين الأسد/وراجعه أحمد محمد شاكر/القاهرة:دارالمعارف بمصر/مطابع الناشر/باكستان/كوجوا نولة/دار إحياء السنة د.ت/بيروت:المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨١م.
  - ٤ لعناية ليفى بروفنسال ،القاهرة، سنة ١٩٤٨م – تحقيق عبد السلام محمد هارون،القاهرة،دار المعارف بمصر، ط٤، مطابع الناشر، ١٩٧٧م.
  - ٥ تحقيق إحسان عباس ،بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١م.
  - ٦ تحقيق إحسان عباس وناصر الدين الأسد،ومراجعة أحمد محمد شاكر،القاهرة،دارالمعارف بمصر ،مطابع الناشر.والرسائل هي:١/ القراءات المشهورة فى الأمصار . ٢/ أسماء الصحابة والرواة،وما لكل واحد من العدد ٣/ أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم ٤/ جمل فتوح الاسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. ٥/ أسماء الخلفاء والولاة . باكستان:كوجرانولة،دار إحياء السنة..القاهرة:مكتبة التراث الإسلامى، دار الجيل للطباعة، ١٩٨٢م .
  - ٧ عناية A.S Tritton،مجلة مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية، لندن bsoas،مج ١٩٧٢، ٣٥م.
  - ٨ تحقيق أبو عبد الرحمن بن عقيل وعبد الحليم عويس ، القاهرة، دار الإعتصام ١٩٧٧م.
  - ٩ تحقيق إحسان عباس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١..
  - ١٠ تحقيق محمد الهادى الطرابلسي،مجلة حوليات الجامعة التونسية،كلية الآداب والعلوم الإنسانية،عدد٩،سنة ١٩٧٢م.

- ٢٧.رسالة البيان عن حقيقة الإيمان<sup>٢</sup> .
- ٣٠.رسالة ذكر أوقات الأمراء وأيامهم بالأندلس<sup>٣</sup> .
- ٣١.رسالة ذكر أوقات الحكام من بنى اسرائيل<sup>٤</sup> .
- ٣٢.رسالة فى حكم من قال: إن أرواح أهل الشقاء معذبة إلى يوم القيامة<sup>٥</sup> .
- ٣٣.رسالة فى الرد على الهاتف من بعد<sup>٦</sup> .
- ٣٤.رسالة فى الغناء الملهي، أمباح هو أم محذور؟<sup>٧</sup> .
- ٣٥.رسالة فى مراتب العلوم<sup>٨</sup> .
- ٣٦.رسالة فى معرفة النفس بغيرها وجهلها بذاتها<sup>٩</sup> .
- ٣٧.رسالة فى المفاضلة بين الصحابة<sup>١٠</sup> .
- ٣٨.رسالة فى الناسخ والمنسوخ<sup>١١</sup> .
- ٣٩.السياسة ( شذرات من الكتاب<sup>١</sup>) .

- 
- ١ تحقيق إحسان عباس،القاهرة،دار العروبة،١٣٨٠م،١٩٦٠- بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١م.
- ٢ تحقيق إحسان رشيد عباس،القاهرة،مكتبة الخانجي، بغداد: مكتبة المثنى: ومطبعة دار الهنا، ١٩٥٠م. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١م.
- ٣ تحقيق إحسان عباس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١م.
- ٤ تحقيق إحسان عباس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١م.
- ٥ تحقيق إحسان عباس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١م.
- ٦ تحقيق إحسان رشيد عباس،القاهرة، مكتبة الخانجي، بغداد:مكتبة المثنى:ومطبعة دار الهنا، ١٩٥٠م، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١م.
- ٧ تحقيق إحسان رشيد عباس/القاهرة/مكتبة الخانجي/بغداد/مكتبة المثنى/ومطبعة دارالهنا/١٩٥٠م/بيروت/المؤسسة العربية للدراسات والنشر/١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ٨ تحقيق إحسان رشيد عباس،القاهرة،مكتبة الخانجي، بغداد: مكتبة المثنى:ومطبعة دار الهنا، ١٩٥٠م.
- ٩ تحقيق إحسان رشيد عباس،القاهرة، مكتبة الخانجي، بغداد:مكتبة المثنى:ومطبعة دار الهنا ، ١٩٥٠م، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١م.
- ١٠ تحقيق سعيد الأفغاني، دمشق، المطبعة الهاشمية، ١٩٤٠م ، بيروت : دار الفكر، ط٢، ١٩٦٩م.
- ١١ استانبول ط حجر د.ت، تحقيق إحسان رشيد عباس، بيروت:المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١٩٨١م/القاهرة :المطبعة الأزهرية، ١٣٠١هـ-١٨٨٣م، القاهرة:مطبعة الإستقامة، ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م.

٤٠. طوق الحمامة في الألفة والألاف<sup>٢</sup>.
٤١. كتاب الإيصال إلى فهم كتاب الخصال. (خمس عشرة ألف ورقة).
٤٢. كتاب الخصال الحافظ لجمل شرائع الإسلام .
٤٣. كتاب شرائع الإسلام، مجلدان.
٤٤. كتاب قسمة الخمس في الرد على إسماعيل القاضي، مجلد.
٤٥. كتاب الآثار التي ظاهرها التعارض ونفي التناقض عنها . (عشرة الاف ورقة لكنه لم يتمه).
٤٦. كتاب الجامع في صحيح الحديث بلا أسانيد.
٤٧. كتاب ما انفرد به مالك وأبو حنيفة والشافعي.
٤٨. مختصر الموضح لأبي الحسن بن المفلس الظاهري، (مجلد).
٤٧. كتاب اختلاف الفقهاء الخمسة: مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وداود .
٤٩. كتاب التصفح في الفقه ، (مجلد).
٥٠. كتاب التبيين في هل علم المصطفى أعيان المنافقين، (ثلاثة كرايس).
٥٠. كتاب الإملاء في شرح الموطأ ، (ألف ورقة).
٥٢. كتاب الإملاء في قواعد الفقه ، (ألف ورقة أيضاً).
٥٣. كتاب ردُّ القواعد في فقه الظاهرية ، (ألف ورقة أيضاً).
٥٤. كتاب الفرائض ، (مجلد).
٥٥. كتاب الرسالة البلقاء في الرد على عبد الحق محمد الصقلي، (مجلد).
٥٦. كتاب الرد على من اعترض على الفصل ، (مجلد).

١ تحقيق محمد إبراهيم الكتاني/مجلة معهد مولاي الحسن/الأبحاث المغربية/كلية الآداب/الجامعة المغربية/تطوان/ العدد ١٩٦٠، م٥.

٢ D.k.Petrpt، لندن/مؤسسة بريل/مطبعة بريل، ١٩١٤م. تصحيح محمد البزم/ومحمد يس عناية/دمشق: مكتبة عرفة، مطبعة البرهان، ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م، عناية LeonBercher، الجزائر: مكتبة Carbonel ١٩٤٩م. عناية فائق الجواهري، القاهرة، مطابع جريدة المصري، ١٩٥٢م، نشرت تحت عنوان (أصول الحب) تحقيق حسن كامل الصيرفي، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى ١٩٥٩. من تحقيق فاروق سعد، بيروت، مكتبة دار الحياة، ١٩٧٢م.

٥٧. كتاب اليقين في نقض تمويه المعتذرين عن إبليس وسائر المشركين، (مجلد كبير).
٥٨. كتاب الرد على ابن زكريا الرازي، (مائة ورقة).
٥٩. كتاب الترشيح في الرد على كتاب (الفريد) لابن الراوندي في اعتراضه على النبوات، (مجلد).
٦٠. كتاب الرد على من كفر المتأولين من المسلمين، (مجلد).
٦١. كتاب الإستجلاب، (مجلد).
٦٢. كتاب مختصر في علل الحديث، (مجلد).
٦٣. كتاب نسب البربر، (مجلد).
٦٤. العتاب على أبي مروان الخولاني.
٦٥. رسالة في معنى الفقه والزهد.
٦٦. مراتب العلماء وتواليدهم.
٦٧. التلخيص في أعمال العباد.
٦٨. الإظهار لما شنع به علي الظاهرية .
٦٩. زجر الغاوي، (جزآن).
٧٠. رسالة المعارضة قصر الصلاة.
٧١. (رسالة التأكيد) ما وقع بين الظاهرية وأصحاب القياس.
٧٢. الرسالة اللازمة لأولي الأمر.
٧٣. مختصر الملل والنحل، (مجلد).
٧٤. الدرّة في ما يلزم المسلم، (جزآن).
٧٥. مسألة في الروح .
٧٦. الرد على إسماعيل اليهودي الذي ألف تناقض الآيات.
٧٧. النصائح المنجية .
٧٨. الرسالة الصمادحية في الوعد والوعيد.
٧٩. مسألة الإيمان وكتاب مراتب العلوم.

٨٠. بيان غلط عثمان بن سعيد الأعور في المسند والمرسل.
٨١. ترتيب سؤالات عثمان الدارمي لابن معين.
٨٢. عدد ما نكل صاحب في مسند بقي.
٨٣. تسمية شيوخ مالك.
٨٤. بيان الفصاحة والبلاغة.
٨٥. رسالة في ذلك إلى ابن حفصون.
٨٦. مسألة هل السواد لون أو لا ؟.
٨٧. الحد والرسم.
٨٨. تسمية الشعراء الوافدين على ابن أبي عامر.
٨٩. شيء في العروض .
٩٠. مؤلفة الظاء والضاد.
٩١. التعقب على الأفليلي في شرحه لديوان المتنبي.
٩٢. غزوات المنصور بن أبي عامر.
٩٣. تأليف في الرد على أناجيل النصارى.
٩٤. ولابن حزم رسالة في الطب النبوي وذكر فيها أسماء كتب له في الطب. منها:
٩٥. مقالة العادة.
٩٦. ومقاله في شفاء الضد بال ضد.
٩٧. وشرح فصول بقراط
٩٨. وكتاب بلغة الحكيم.
٩٩. وكتاب اختصار كلام جالينوس في الأمراض الحادة.
١٠٠. وكتاب في الأدوية المفردة. ١٠١. ومقالة في المحاكمة بين التمر والزبيب

ومقالة في النحل وأشياء سوى ذلك ('')

---

١ منها كتاب جمهرة أسباب العرب/نشرته دار المعارف/تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون.

المؤلفات الكثيرة للإمام ابن حزم في شتى الفروع تكشف عن عالم موسوعي، ومفكر كبير، يستحق أن يلحق بكبار علماء الإسلام .

**المطلب الثاني: القرآن وتفسيره والحديث وعلومه:**

**أولاً: القرآن وتفسيره:**

حفظ ابن حزم القرآن صغيراً يافعا فقد قال عن نفسه: (ولا جالست الرجال إلا أنا في حد الشباب وحيث تقل وجهي وهن-الجواري القريبات- علمني القرآن، ورويني كثيرا في الأشعار ودربني في الحفظ<sup>٢</sup>)، وكان له إلمام بالقراءات فقد آلف فيها رسالة (القراءات المشهورة في الأمصار الآتية مجي التواتر<sup>٣</sup>). وكان ابن حزم ذا مقدرة فذة في الاستدلال بالقرآن ، وأخذ الأحكام من نصوصه ومعرفة مدلولاتها ، وله إطلاع على الناسخ والمنسوخ وله في ذلك كتاب مشهور متداول<sup>٤</sup> وأيضا له إطلاع واسع في التفسير مما مكنه من أن يدمج بين التفسير حيث يقول في معرض ذكره لعلماء الأندلس وما ألفوه: (وفي تفسير القرآن كتاب أبي عبد الرحمن بقي بن مخلد فهو الكتاب الذي اقطع قطعاً لا استثنى فيه انه لم يؤلف في الإسلام تفسيراً مثله ولا تفسير محمد بن جرير الطبري<sup>٥</sup> ولا غيره<sup>٦</sup>) .

**ثانياً: الحديث وعلومه:**

كان ابن حزم قوى الضبط واسع الحفظ، ذا همة عالية مما مكنه من جمع ثروة ضخمة جدا من الحديث الشريف وفتاوى الصحابة والتابعين، مع المعرفة برجال الأسانيد وعلل

---

١ سير أعلام النبلاء (١٨ / ١٩٣ - ١٩٧). العبر في خبر من عبر لمؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي/ دار الكتب العلمية / بيروت - لبنان / ط ١ / ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م (٢ / ٣٠٦). الأعلام (٤ / ٢٥٤ - ٢٥٥).

٢ طوق الحمامة لابن حزم / ص ٥٠.

٣ وهي رساله مطبوعة بذييل كتاب جوامع السيرة بتحقيق إحسان عباس وناصر الدين الأسد / ط. دار المعارف.

٤ مطبوع علي هامش تفسير الجلايين

٥ محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها (٢٢٤ - ٣١٠ هـ = ٨٣٩ - ٩٢٣ م). الأعلام للزركلي - (٦ / ٦٩)

٦ الجنوة / للحميري / ص ١٧٧

الحديث. فبلغ رحمه الله مرتبه المحدثين الحفاظ فقد ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ قائلاً: (الإمام العلامة الحافظ الفقيه المجتهد<sup>١</sup>).

وقال ابن كثير في البداية والنهاية: (هو الإمام الحافظ العلامة<sup>٢</sup>). وتروي لنا كتب الرجال أنه بدأ في طلب الحديث مبكراً فقد سمع الحديث وعمره يقارب السادسة عشرة<sup>٣</sup>، وكان رحمه الله معتنياً بالحديث لأنه العمدة في استدلاله من غير تعريج إلى الاجتهاد بالرأي، وكان متفرغاً للجهد في تحري الحديث الصحيح. يقول الذهبي: (ولي أنا ميل إلى أبي محمد لمحبتة في الحديث الصحيح ومعرفته به<sup>٤</sup>). ولكن ما يعاب علي ابن حزم أنه مع حفظه وضبطه وقع في علم الحديث ولعل السبب ثقته المفرطة بذاكرته واعتماده الكلي عليها مع إقدامه علي التعديل والتخريج. قال الحافظ ابن حجر<sup>٥</sup>: (وكان واسع الحفظ جداً إلا أنه لثقة حافظته كان يهجم كالقول في التعديل والتخريج وتبين أسماء الرواة فيقع في ذلك أوهام شنيعة<sup>٦</sup>)، ولكن هذا لا يقدح في ذكائه وسعة علمه بالحديث وحفظه. كما قال الذهبي: (وإن كنت لا أوافقه في كثير مما يقوله في الرجال والعلل ولكن لا أكفره، ولا اضله، وأرجو له العفو والمسامحة للمسلمين، واخضع لفرط ذكائه وسعة علومه<sup>٧</sup>)، وله من

---

<sup>١</sup> تذكرة الحفاظ (١٤٦/٣).

<sup>٢</sup> البداية والنهاية/ لابن كثير (٩٨/٢).

<sup>٣</sup> قال الذهبي ولد أبو محمد بقرطبة سنة أربع وثمانين وثلاثة مائة. وسمع في سنة أربع مائة وبعدها في طائفة منهم يحيى بن مسعود بن وجه الجنة... وينزل إلي أن يروي عن أبي عمر بن عبد البر.... وأجود ما عنده من الكتب سنن النسائي.... وأنزل ما عنده (صحيح مسلم) وبينه وبينه وبين خمس رجال وأعلي ما رأيت له حديث بينه وبينه وكيع فيه ثلاث أنفس. سير أعلام النبلاء (١٨٥/١٨).

<sup>٤</sup> سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٢٠١ - ٢٠٢).

<sup>٥</sup> هو أحمد بن علي بن محمد الكناشي العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين ابن حجر من أئمة العلم والتاريخ، حجه في الحديث مؤرخ فقيه شافعي، ولد عام ٧٧٣ هـ في مصر، ودرس علي أعظم شيوخ عصره كالبلقيني وعز الدين بن جماعة، توفي عام ٨٥٢ هـ/الأعلام (١٧٨/١).

<sup>٦</sup> لسان الميزان/ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت/ ط٣/ ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م/ دائرة المعارف النظامية - الهند (١٩٨/٤).

<sup>٧</sup> سير أعلام النبلاء (١٨ / ٢٠٢).

كتب الحديث، كتاب مختصر علل الحديث ،وكتاب تسمية شيوخ مالك وكتاب الجامع في صحيح الحديث، وكتاب عدد ما لكل صاحب في مسند بقي، وكتاب أسماء الصحابة والرواة.

**المطلب الثالث: مؤلفات الإمام ابن حزم في التاريخ والطب والعلوم العقلية والفكرية واللغة العربية:**

**أولاً: مؤلفاته في التاريخ:**

قال اليسع بن حزم الغافقي: (أما محفوظه فبحر عجاج، وماء ثجاج...، لقد حفظ علوم المسلمين، وأربى عن كل أهل دين، وألف "الملل والنحل"<sup>١</sup>. ففي التاريخ كان له إلمام واسع وإطلاع متحقق، وكان له كتبٌ فيه، حتى أنه كتب في أدق فروعه وهي الأنساب، وله كتاب مشهور متداول وهو كتاب (جمهرة أنساب العرب)<sup>٢</sup>. وكتب فيه كتابة المتمكن المستوعب الذي استولى على أبواب العلم استيلاء. وقال ابن صاعد: (وله في ذلك توسع في علم البيان، وحفظ البلاغة، ومعرفة السير والأنساب)<sup>٣</sup>. وكانت له كتب في التاريخ منها (جوامع السير)<sup>٤</sup> (أسماء الخلفاء) (أمهات الخلفاء) (نسب البربر)، وقد ألف ابن حزم في الملل والنحل كتاباً مشهوراً متداولاً يدل على سعة علمه واطلاعه على مناهج وعقائد الأمم السابقة، وهو كتاب (الفصل في الملل والنحل)<sup>٥</sup>، فريد في بابه ومنهجه، وهو عبارة عن تاريخ انتقادي للمذاهب البشرية. وله أيضاً كتاب (إظهار تبديل اليهود والنصارى) قال عنه: (وكتاب إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل وبيان تناقض ما بأيديهم من ذلك مما يحتمل التأويل، وهذا مما سبق إليه)<sup>٦</sup>.

**ثانياً: مؤلفاته في الطب:**

---

<sup>١</sup> سير أعلام النبلاء (١٨ / ١٩٠).

<sup>٢</sup> نشرته دار المعارف بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون .

<sup>٣</sup> سير أعلام النبلاء (١٨ / ١٨٧).

<sup>٤</sup> طبع بدار المعارف بتحقيق الدكتورين/ إحسان عباس و ناصر الأسد - وبهامشه خمسة رسائل لابن حزم.

<sup>٥</sup> كتاب مشهور متداول ومطبوع عدة طبعات، وله طبعة بهامشها الملل / للشهرستاني.

<sup>٦</sup> جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس (١ / ١١١) .

أما في الطب فقد كانت له معرفة جيدة وله فيه مباحث وممارسة وقال عنه ابن كثير: (كان أديباً، طبيباً، شاعراً، فصيحاً، له في الطب والمنطق كتب<sup>١</sup>). (ولابن حزم "رسالة في الطب النبوي"، وذكر فيها أسماء كتب له في الطب منها: "مقالة العادة"، و "مقالة في شفاء الضد بال ضد"، و "شرح فصول بقراط"، وكتاب "بلغة الحكيم"، وكتاب "حد الطب"، وكتاب "اختصار كلام جالينوس في الامراض الحادة"، وكتاب في "الادوية المفردة"، و "مقالة في المحاكمة بين التمر والزبيب"، و "مقالة في النخل"<sup>٢</sup> .

### ثالثاً: العلوم العقلية والفكرية:

قد كانت العلوم العقلية والفكرية في عصر ابن حزم لها قدح معلى وراية خفاقة بين الخاصة، لذلك الم الإمام ابن حزم من الخوض في غمارها والتبحر في إسفارها. وقد تعلم المنطق منذ صباه من شيخه محمد بن الحسن المذحجي وأمعن فيها وقد وجد المنطق في ابن حزم عقلية حرة وفكراً ثاقباً سرعان ما أتسع به. قال الذهبي: (وكان قد مهر أولاً في الآدب...، وفي المنطق وأجزاء الفلسفة<sup>٣</sup>) ولكن سرعان ما ترك علم المنطق والفلسفة لعلوم الإسلام، كما قال ابن صاعد: (وعنى بعلم المنطق وبرع فيه، ثم أعرض عنه وأقبل على علوم الإسلام حتى نال في ذلك ما لم ينله أحد بالأندلس قبله<sup>٤</sup>) وله من كتب المنطق كتاب (التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، فإنه سلك في بيانه وإزالة سؤ الظن عنه وتكذيب الممخرقين به طريقة لم يسلكها أحد قبله فيما علمنا<sup>٥</sup>). ولكن هذا الولوج وهذه الإمامة في المنطق لم تكن محمودة له من كثير من العلماء ، ولاسيما أن الإمام ابن حزم رأس في علماء الإسلام فقد قال الذهبي (لقد وقفت له على تأليف يحض فيه على الاعتناء بالمنطق ويقدمه على العلوم، فتألمت له، فإنه رأس في علوم الإسلام، متبحر في النقل، عديم النظر على يبس فيه، وفرط ظاهرية في

<sup>١</sup> البداية والنهاية / لابن كثير (١٢ / ٩٢).

<sup>٢</sup> سير أعلام النبلاء - (١٨ / ١٩٧) .

<sup>٣</sup> سير أعلام النبلاء (١٨٦/١٨).

<sup>٤</sup> المرجع السابق (١٨٨/١٨).

<sup>٥</sup> الجنوة (١١١/١) .

الفروع لا الأصول<sup>١</sup>) والحق إن تعلمه وبراعته ومجادلته في علم المنطق رغم أنه تركه وأعرض عنه أوقعته في أمرين :

**الأمر الأول:** هو أنه لم يستطع أن يفهم مقصود من جادل وخالف كما

قال أبو مروان بن حيان: (كان ابن حزم -رحمه الله- حامل فنون من حديث وفقه وجدل ونسب، وما يتعلق بأذيال الأدب، مع المشاركة في أنواع التعاليم القديمة من المنطق والفلسفة، وله كتب كثيرة لم يخل فيها من غلط لجراءته في التسور على الفنون لا سيما المنطق، فإنهم زعموا أنه زل هنالك، وضل في سلوك المسالك، وخالف أرسطاطاليس واضع الفن مخالفة من لم يفهم غرضه، ولا ارتاض)، ولعل هذا من عدم تمرسه في علم المنطق طويلاً وانشغاله عنه بعلوم الإسلام.

**الأمر الثاني:** إن علم المنطق والفلسفة أورثته اضطراباً في بعض قضايا المعتقدات التي خالف فيها السنة، وأعمل العقل والرأى في أمور كان التسليم فيها للوحي أسلم من الخوض فيها. قال في ذلك الحافظ ابن كثير: (والعجب كل العجب منه - ابن حزم - أنه كان ظاهرياً حائراً في الفروع لا يقول بشئ من القياس لا الجلي ولا غيره، وهذا الذي وضعه عند العلماء وادخل عليه خطأ كثيراً في نظره وتصرفه ، وكان مع هذا اشد الناس تاويلاً في باب الأصول وآيات الصفات، لأنه كان أولاً قد تضلع من علم المنطق وأخذه عن محمد بن الحسن المذحجي الكتاني القرطبي ذكرها ابن ماكولا<sup>٢</sup>، وابن خلكان ففسد بذلك حاله في باب الصفات<sup>٣</sup>)، وقال الحافظ الذهبي: (ما أعرض عنه - أي المنطق - حتى زرع في باطنه أموراً وانحرافاً عن السنة<sup>٤</sup>) .

**رابعاً: مؤلفات ابن حزم في اللغة العربية:**

<sup>١</sup> سير أعلام النبلاء (١٨٦/١٨).

<sup>٢</sup> هو هبة الله بن جعفر أبو القاسم بن ماكولا، كان عارفاً بالشعر والأخبار استوزره جلال الدولة ببغداد، (٣٦٥ - ٤٣٠ هـ = ٩٧٥ - ١٠٣٩ م). راجع الأعلام (٧٣/٨).

<sup>٣</sup> البداية والنهاية (٩٨/١٢).

<sup>٤</sup> سير اعلام النبلاء (١٨٨/١١).

إن من كمال العلم وتماحه، وفصاحة اللسان، وقوة البيان الذين بهما يصرع بالحق ويستبان العلم، فقد كان ابن حزم الذي جمع مادة الاجتهاد وآلته شاعراً مفوهاً وخطيباً مقدماً، وأديباً متفرداً، وكاتباً أديباً. فقد كان الأدب والشعر بضاعته وصناعته قبل العلم، وشرب من كأسه في صباه قبل أن يتجرع من بحور العلم.

وقال الحافظ ابن حجر: (واشتغل في صباه بالأدب والمنطق والعربية وقال الشعر وترسل، ثم أقبل على العلم<sup>١</sup>). وقال الذهبي: (وكان قد مهر أولاً في الأدب والأخبار والسير<sup>٢</sup>). وقال تلميذه الحميدي: (وكان له في الأدب والشعر نفس واسع، وباع طويل وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه، وشعره كثير جمعته على حروف المعجم<sup>٣</sup>). وقال أبو القاسم صاعد: (كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام... مع توسعه في علم اللسان، ووفور حظه من البلاغة والشعر<sup>٤</sup>).

وله في ذلك كتب منها: (بيان الفصاحة والبلاغة) (شيء في العروض) (التعقيب على الأفليلي في شرحه لديوان المتنبي) (مؤلف في الظاء والضاد<sup>٥</sup>). فكل هذه المؤلفات التي ألفها الأمام ابن حزم تدل على أنه قد كان بحق جامعة متفردة، وجبلاً راسخاً من أي الفجاج أتيته وجدته شامخاً إلى السماء .

---

<sup>١</sup> لسان الميزان (٤ / ١٩٨).

<sup>٢</sup> سير أعلام النبلاء (١٨ / ١٨٦).

<sup>٣</sup> جذوة المقتبس (١ / ١١١) .

<sup>٤</sup> سير أعلام النبلاء (١٨ / ١٨٧).

<sup>٥</sup> سير أعلام النبلاء (١٨ / ١٩٦) .

## المبحث الثاني: مؤلفات الإمام ابن حزم في الأصول والفقه

(يُعد ابن حزم من أعظم المفكرين المسلمين الذين نبغوا في الأندلس بشكل خاص والعالم الإسلامي بشكل عام، حيث بلغت مؤلفاته عدداً كبيراً من الكتب، وتشير التراجم إلى أنه كان حافظاً وعالمًا بعلوم الحديث والفقه مستتباً للأحكام من الكتاب والسنة متضلعا بعلوم جمة عاملاً بعلمه<sup>١</sup>).

وقد جمع ابن حزم أصوله الفقهية ومسائله في الأصول في عدة كتب منها كتاب (النبذ الكافية) (النكت الموجزة في نفي الرأي والقياس والتعليل والتقليد) (مراتب الإجماع) (ما وقع بين الظاهرية و أصحاب القياس) (الإحكام في أصول الأحكام).

### المطلب الأول: مؤلفاته في الأصول:

أولاً: كتاب (الإحكام في أصول الأحكام) وسبب تأليفه ومميزاته:

#### ١/ كتاب (الإحكام في أصول الأحكام):

هذا الكتاب جعله ابن حزم السفر الذي عبر فيه عن أرائه الأصولية، وموسوعة جامعة لأصوله الفقهية، وحجة قوية لنقد مذاهب غيره من الأصوليين والفقهاء، جمعه في مجلدين وثمانية أجزاء، وجعله ابن حزم شرحاً لآية من كتاب الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾<sup>٢</sup>، قال ابن حزم: (فنظرنا في هذه الآية فوجدناها جامعة لكل ما تكلم فيه الناس... فكان كتابنا هذا كله في بيان العمل بهذه الآية، وكيفية بيان الطاعتين الأمور بهما لله تعالى ولرسوله عليه السلام، وطاعة أولي الأمر ومن هم أولو الأمر، وبيان التنازع الواقع...<sup>٣</sup>) .

<sup>١</sup> دراسات في التاريخ الأندلسي / للدكتور عبد الواحد ذنون طه / ص ١٦٩ - ١٧٠.

<sup>٢</sup> سورة النساء الآية ٥٩.

<sup>٣</sup> الإحكام في أصول الأحكام (١ / ١٣).

## ٢ / سبب تأليف الكتاب ومميزاته:

يبين ابن حزم أن سبب تأليفه للكتاب هو امتثالاً لأمر الله تعالى ويقول: (فوجب علينا أن نفر لما استتفرونا له خالقنا عز وجل<sup>١</sup>) . ثم ذكر الآية سألقة الذكر، أما مميزات الكتاب:

١. من الواضح أن ابن حزم ألف كتاب الأحكام، بعد أن اكتملت المباحث العقلية والجدلية والفقهية عنده، أي في مرحلة متأخرة من حياته العلمية بعد أن نضجت وتوسعت مباحثه وقدراته الأصولية لذلك تجد الثقة الكبيرة التي يبديها فيما يقرره من مسائل فقد قدم بين يدي كتابه هذا (كتاب القريب) . وهو كتاب عن المباحث المنطقية والكلامية، وأحكم فيه مسائله وأبرز فيه تجارته. فذلك كتاب (الفصل) وهو الكتاب الذي جادل فيه كل الملل والمذاهب، وأيضاً كتاب يحيل إلى كتاب (الإيصال) .

٢. وكذلك امتاز الكتاب بأنه أجمع وأشمل موسوعة لأصول الظاهرية حيث أنه لم يكن للظاهرية كتاب مشهور منتشر مثل هذا الكتاب، بل لم يكن للظاهرية قبله كتاب جامع لأصولهم، سوى مباحث متفرقة ألفها داود وابنه ومحمد وغيرهم من العلماء، فبالتالي كان كتاب (الأحكام) هو الكتاب الذي حفظ لنا أصول المذهب الظاهري على مر السنين.

٣. وامتاز أيضاً بأنه حوي على محاورات قيمة ومسائل فقهية جزئية تجعله قبلة للباحثين والمحققين، ونستطيع أن نستخرج منه جزء متوسط من فقه المالكية وكذلك من فقه الأحناف، أما الشافعية فلم يكثر من إيرادات مسائلهم لأنه يرى أنهم أكثر انضباطاً في الفقه وأصوله وأكثر التزاماً بالنصوص، أما الحنابلة لم يتعرض لمسائلهم إلا نادراً، فلعله لم يعدهم من الفقهاء بل من أهل الحديث.

٤. وضوح الكتاب ونصوع منهجه وابتعاده عن التعقيد وتشعيب المسائل مما جعله في متناول الجميع، لذلك أقول أنه لا يحتاج إلى شروح أو حواشي إنما قد يكون في حاجة إلى الاختصار أكثر من الشرح والتبيين.

**المطلب الثاني: قيمة مؤلفات الإمام ابن حزم الفقهية:**

---

<sup>١</sup> نفس المرجع (١/ ١٦).

كان ابن حزم فقيهاً مستنبطاً للأحكام مطلعاً على فقه الأقدمين جامعاً لفقه المذاهب الأربعة، وله إطلاع واسع لأقوالهم وفروعهم.

**أولاً: كتاب (المحلى بالأدلة):**

بعد أن أحرقت كتب ابن حزم أملى كتابه (المحلى) مختصراً من حفظه، غير أن المجلد الأخير كتبه ابنه مختصراً له من كتاب (الإيصال إلى فهم الخصال)، وقال عنه: (وَأَلَفَ فِي فقه الحديث كتاباً كبيراً سماه كتاب الإيصال إلى فهم الخصال لجمع شرائع الإسلام في الواجب، والحلال والحرام وسائر الأحكام على ما أوجبه القرآن والسنة والإجماع، أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين والأئمة في مسائل الفقه والحجة لكل طائفة<sup>(١)</sup>).

لقد كان ابن حزم متخصصاً في الفقه، خبيراً بفقه الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والأئمة الأربعة وغيرهم، وقد بلغ مرتبة الاجتهاد المطلق. وقال الذهبي عنه: (فناظر أحسن مناظرة، وقال فيها: أنا أ تبع الحق، واجتهد ولا أتقيد بمذهب<sup>(٢)</sup>).

فابن حزم له فقه متميز وله لون خاص، وله آراء فقهية ليست في فقه الأئمة الأربعة ولا غيرهم، لأنه يخالف الفقهاء والأصوليين في كثير من المسائل الفقهية لذلك كان لأبد أن يباينهم في الكثير من المسائل الفرعية، وله كتب في الفقه كتاب (التصفح في الفقه) وكتاب (الخصال الحافظ لجمل شرائع الإسلام). وأما كتاب (المحلى في شرح المجلى بالحجج) في ثمان مجلدات.

قال العز بن عبد السلام: (ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل المحلى لابن حزم...<sup>(٣)</sup>).

**ثانياً: منهج ابن حزم في كتابه (المحلى):**

سلك ابن حزم في عرض المسائل الفقهية المنهج التالي:

<sup>١</sup> بقية الملتمس/ ص ٤١٥ - ٤١٦.

<sup>٢</sup> سير أعلام النبلاء (١٨ / ١٩١).

<sup>٣</sup> سير أعلام النبلاء (١٨ / ١٩٨).

أولاً: يذكر عنوان المسألة الذي يمثل مذهب.

ثانياً: يذكر مذاهب الفقهاء في المسألة.

ثالثاً: يناقش أقوال المذاهب المخالفة لمذهبه بشيء من الغلظة والحرارة في العبارة.

رابعاً: يذكر من قال بقوله من الصحابة، والفقهاء.

خامساً: يذكر الأدلة على مذهبه في الكتاب، والسنة.

سادساً: يعارض قياس المخالف بقياس مثله منه للقياس بالقياس.

(إن ابن حزم كان رجلاً من أمة، وأمة من رجل، فهو مفسر مع المفسرين ومحدث مع المحدثين، وحافظ مع الحفاظ، وفقه مع الفقهاء، ومقرئ مع المقرئين، أصولي مع الأصوليين، ومتكلم مع المتكلمين، وفيلسوف مع الفلاسفة، وحكيم مع الحكماء، وزاهد مع الزهاد، وعابد مع العباد، وداع مع الدعاة، وأديب مع الأدباء، ولغوي مع اللغويين، وكاتب مع الكتاب، وشاعر مع الشعراء، وخطيب مع الخطباء، ومؤرخ مع المؤرخين ووزير مع الوزراء<sup>(١)</sup>).

وفاق علماء عصره شمولاً واتساعاً في العلم، وتقدمهم تخصصاً وتحقيقاً، وأعجزهم عن أن يدركوا كتاباته وتأليفه حتى أنه قيل: (ولقد أخبرني ابنه الفضل أبا رافع: أن مبلغ تواليفه في الفقه والحديث والأصول والنحل والملل وغير ذلك من التاريخ والنسب وكتب الأدب والرد على المعارض نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة، وهذا شيء ما علمناه لأحد ممن كان في دولة الإسلام قبله، إلا لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، فإنه أكثر أهل الإسلام تصنيفاً<sup>(٢)</sup>).

ويعتبر أبو محمد ابن حزم أحد أئمة الإسلام والذين يسلم لهم في كثير من العلوم، ويستشهد بقولهم خاصة في الحديث وعلومه وفقهه وفي التاريخ كما فعل المقرئ في نفح الطيب وتكثر إشادة العلماء به، ولكن أيضاً يكثر ناقدوه.

<sup>١</sup> معجم فقه ابن حزم/لمحمد المنتصر الكتائي، منشورات مكتبة السنة بالقاهرة، ط١/ ١٤١٤ هـ/ ص ١٠.

<sup>٢</sup> معجم الأدباء (٢/ ٢٨).





